

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

الرقم التسلسلي .....

كلية: الآداب واللغات

رقم التسجيل: م أ ع/145/2014

قسم: اللغة والأدب العربي

## عنف اللسان في رواية الطلياني لشكري المبخوت

دراسة في ضوء نظرية الأنساق الثقافية

مذكرة لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي حديث

فرع: أدب عربي

الميدان: لغة وأدب عربي

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

- مراد قفي

- رندة يحي

تاريخ المناقشة: 18 / 05 / 2016

لجنة المناقشة:

- د / بحوص زكري ..... رئيسا

- أ / قفي مراد ..... مشرفا

- أ / بوزيد رحمون ..... ممتحنا.

السنة الجامعية: 2016/2015

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكرو عرفان :

نحمد الله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل، وما التوفيق إلا بالله .

ولما كان شكر الناس من شكر الله، فان هذا الجهد ما كان ليعرف نتويجه ، لولا مساهمة العديد من الأساتذة الذين تدخلوا على مدى فترات انجاز هذا العمل ،من أجل إعطائه الدفع الذي أوصله إلى مداه الأخير .

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ " مراد قفي " لإشرافه على هذا العمل و تأطيره له فنشكره على توجيهاته القيمة، ونصائحه المفيدة، ومناقشته الفعالة، ونقده البناء فما لبث إلا أن يكون دليلنا في هذا العمل، ومنازة نستنير بها في الدروب الوعرة لهذه الدراسة .

وكذلك كل الشكر والامتنان إلى الدكتور "عمر بن قينة " الذي كان قريبا منا بتوجيهاته ونصائحه، التي تعلمنا منها قمة التواضع العلمي .

وكذلك أشكر الناقدة "منجية بن صالح " من جامعة تونس، التي برغم المسافات البعيدة، أفادتنا بعلمها القيم، و لم تبخل علينا بوقتها، وجهدها .

إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي بجامعة المسيلة، ونخص بالذكر : الأستاذ  
زكري بحوص والأستاذ محمد زعيتري.

مقدمة

بقدر ما أن العنف ظاهرة ملازمة للوجود البشري فهو أيضاً موضوع رئيسي لتعبير الإنسان عن ذلك الوجود في الثقافة بوجه عام والفنون على اختلافها بوجه خاص. الجديد ليس في وجود العنف أو في تناوله فنياً، سواء في التشكيل أو الأدب أو السينما بل حتى في الموسيقى، وإنما هو في كيفية التناول وكثافته ودلالاته المتصلة بظروف معينة، فالكيفيات وليس الموضوعات هي ما يتغير غالباً. ذلك أن كل الثقافات وكل المجتمعات عرفت العنف بأشكاله وألوانه ودرجاته وآثاره، وما يفعله علماء الاجتماع والنفس والفلاسفة ودارسو الفنون وغيرهم من المعنيين بهذه الظاهرة المؤلمة لمحبي الأمن والسلام والتعايش هو تأمل هذه الظاهرة ودراستها وقياس آثارها وأسبابها. أما الكتاب والناقدون على اختلاف توجهاتهم فالمعتاد هو أن يستحضروا هذه الظاهرة لسببين رئيسيين:

- أن يعبروا عن مواقفهم إزاءها بتصويرها من زاوية معينة.

- أن يوظفوها لإثراء أعمالهم درامياً، أي ببث روح الحركة والتوتر في العمل.

السبب الأول سيبدو إنسانياً وطبيعياً أو متوقفاً، لكن السبب الثاني سيبدو سائداً في براغماتيته أو عمليته، أي ظهور الكاتب بمظهر المستمتع بالعنف وكأنه، سواء أكان شاعراً أم سارداً أم مسرحياً، يسعد بالعنف ليأتي عمله شاداً للانتباه، أسراً للمتلقي، داعماً للعمل وصاحبه. لكن هذا غير صحيح على إطلاقه، لأن السببين المشار إليهما يأتيان في الغالب متلازمين وإن لم يتساويا في الأولوية أو الأهمية، من حيث إن السبب الأول أي إنسانية الكاتب تأتي هاجساً رئيساً يستصحب السبب الثاني دون أن يخضع لمتطلباته الباردة أو يغلبها.

ومع ذلك فإن دراسة الآداب والفنون تقف بالدارس على حقيقة أن الإبداع الفني بأنواعه يقتضي، في أحيان كثيرة، برودة عاطفية قد نسميها مسافة درامية تجعل الفنان

يتعامل مع الظواهر بحرفية أو مهنية تخفف من شخصانية الموقف أو درجة قربه من العواطف.

علاقة الرواية بوصفها جنساً أدبياً بالغ الانتشار، أو ربما مهيمناً في عالم اليوم، بالعنف تأتي من هذه الزاوية التي تجعلها علاقة حتمية أو طبيعية. فحين تكاثر عدد الروايات التي تعبر عن العنف، أدى إلى تكاثر أساليب التناول واختلاف الدلالات بحيث تضخمت الظاهرة، لاسيما حين تواردت في البال فنون أدبية وغير أدبية يهيمن على تصوراتها العنف الذي يحمل هو الآخر صورته الكثيرة المتنوعة ودرجاته المختلفة. إننا أمام ظاهرة هائلة الضخامة كلما أمعنت النظر فيها هالك حجمها وآمتك مصائرهما وظهرت لك درجات تعقيدها. تخيل فقط أن اثنتين من أشهر الروايات في الأدب العالمي تحيلان إلى العنف منذ العنوان: "الحرب والسلام" لتولستوي و "الجريمة والعقاب" لدوستوفسكي. وقس على ذلك اثنتين من أشهر الروايات في الأدب الأمريكي "الصوت والغضب" لفوكنر و"لمن تفرع الأجراس" لهمنغوي، وكذلك "مائة عام من العزلة" لماركيز، وهي أشهر وربما أعظم روايات اللغة الإسبانية في العصر الحديث، التي تبدأ بتذكر مشهد إعدام.

العنف، مرة أخرى، مكون أصيل وهائل الحضور في حياة الإنسان ومن ثم في مخيلته وما تبذع من أعمال. لكن قول ذلك لا يضيف جديداً، وإنما الجديد إن أمكن، على المستوى النقدي، فهو في النظر المعمق للحالات المتعينة من تلك العلاقة القائمة باستكشاف كيفية تمثيلها إبداعياً، ومدى قيمتها وأثرها. تماماً كما لو أننا قلنا إن الحب أو السلام عنصر أساسي في الثقافات والفنون الإنسانية. لا جديد في تلك العموميات، وإنما هو في الوقوف على الأمثلة والبحث في كيفية تمثيلها لتلك العموميات، وما أدى إليه ذلك من نتائج موضوعية ولغوية وبلاغية وجمالية، إلى غير ذلك من مكونات ما نسميه الإبداع.

فإنك لا تكاد تجد نصا من النصوص، إلا وفيه شظايا من هذه الموضوعات تتقاطع أو تتفرد حاضرة في كل سطر . فكان العنف هو المحرك الأساسي فيها ، ولعل اختيارنا لهذا الموضوع نابع من إرادتنا القوية في الكشف عن خبايا هذا الإبداع الفني لأهمية موضوع العنف، وكذلك البحث عن هذا المتغير في رواية حصدت جائزة البوكر العربي حديثا وهي رواية الطلياني لصاحبها شكري المبخوت .

وقد جاء اختيارنا لهذه الرواية نظرا لأنها جاءت داخل نسق ثقافي مليء بالتحويلات المجتمعية فما تعرفه تونس والمنطقة العربية بصفة عامة، أمر جدير بالدراسة والبحث فحتى لو كانت التغييرات ذات طابع سياسي اجتماعي إلا أنها مست جميع ملامح الحياة اليومية للفرد ومنها الإبداع الذي يستلهم من المتخيل الاجتماعي تفاصيله وصوره .

وهذا ما يفسر في اعتقادنا توجهنا للبحث في ضوء نظرية الأنساق الثقافية ، حيث أن هذه الأخيرة تمكن الباحث من تحليل التأويلات وفق مرجعيات سياقية حتى يتوصل الباحث إلى تفسيرات واضحة وصحيحة تخدم أهداف البحث، والمتمعن في الرواية محل الدراسة يرى بأنها جاءت تعبر عن العديد من الأنساق إلا أنه في دراستنا هذه حاولنا ربطها بعنف اللسان .

والقارئ الجيد لا يشتهي خوض الصعاب بقدر ما تستثيره مفاتن التحدي لذا حاولنا طرح العديد من الإشكالات محاولين كشف اللبس عنها تمثلت في : ما لمقصود بعنف اللسان؟ كيف تجلى عنف اللسان في رواية الطلياني في ضوء الأنساق الثقافية ؟ وللاجابة على هذه الإشكالات كان لابد من الاستناد إلى مراجع ودراسات حتى يسلك البحث طريق الدقة والوضوح، فكان أهمها : أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، حافيظ إسماعيل وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، كريم زكي الحسام الدين، اللغة والثقافة وغيرها من المراجع الأخرى حتى الأجنبية منها.

وأمام هذا الإصرار فقد واجهنا العديد من المعوقات تتعلق بقلة الدراسات الأدبية حول موضوع العنف، وذلك على اعتبار أن الموضوع ينتمي إلى تخصصات علمية حديثة متعلقة بالتحليل النفسي وعلم الاجتماع، إلا أنها لم تثن من عزيمتنا على خوض غمار هذا البحث فالمهم فيه التزود بالثقة والمعرفة ، والأهم في النهاية هو الوصول إلى ما يثمن البحث العلمي.

وقد قسمنا دراستنا هذه إلى فصلين : الفصل الأول بعنوان عنف اللسان في النقد المعاصر، تطرقنا فيه إلى مفهوم العنف، وكذلك تجليات عنف اللسان في اللغة والتاريخ وأيضا عنف اللسان وتراجع الخطابات المعاصرة، وكذلك حقيقة الوضع اللساني والمعرفة بحقيقة اللسان العربي ومظاهر العنف اللغوية، التي أدرجنا تحتها سمات الدال وسمات المدلول وعرجنا النظر إلى الأنساق الثقافية في النقد المعاصر، حيث قمنا بتعريف كل من النسق والثقافة والنسق والنقد الثقافي وعلاقة الثقافة باللغة . أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان : الظواهر اللغوية لعنف اللسان وأثرها في بنية النسق الثقافي، وهو بمثابة الدراسة التحليلية التي تمس جانب العنف في الأنساق الثقافية في رواية الطلياني، التي وجدناها حاضرة سواء كان في الجانب السياسي أو الاجتماعي أو الأسري أو الثقافي أو الجنسي .

وبتضافر المعطيات السابقة، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لتحليل جوانب العنف في الرواية في ضوء الأنساق الثقافية .

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بكامل الشكر والامتنان للأستاذ المشرف "مراد قفي" على قبول إشرافه أولا على هذا البحث، الذي لم يكن في الأصل سوى نتيجة توجيهاته، وإلى اللجنة الكريمة التي زدت شرفا لاطلاعها على موضوعي وقبولها مناقشته والله ولي التوفيق.

## الفصل الأول

### عنف اللسان في النقد المعاصر

# الفصل الأول

## عنف اللسان في النقد الثقافي المعاصر

### تمهيد

#### أولاً: عنف اللسان العنف

- 1- عنف اللسان في اللغة والتاريخ
- 2- عنف اللسان وتراجع الخطابات المعاصر
- 3- حقيقة الوضع اللساني
- 4- المعرفة بحقيقة اللسان العربي

#### ثانياً: مظاهر العنف اللغوية

- 1- المداخل الدلالية: سمات المدلول
- 2- اللغة تسنين مزدوج
- 3- في صوتيات العنف: سمات الدال

#### ثالثاً: الأنساق الثقافية في النقد المعاصر

- 1- مفهوم النسق
- 2- مفهوم الثقافة
- 3- مفهوم النسق الثقافي
- 4- علاقة الثقافة باللغة

## تمهيد :

إذا كان الأدب في أبسط تعريفاته هو التعبير الإنساني الجميل عن محتوى اجتماعي معين من خلال أبعاد الزمان والمكان، فإن الأدب - نثره وشعره - لم يكن في منأى عن معالجة ظاهرة العنف وفق رؤية تخالف - من دون شك - رؤية المحلل الاجتماعي أو عالم النفس، ذلك أن الأدب إبداع إنساني راق، تعبّر فيه النفس الإنسانية عن اللامتناهي الذي يسكن كل الذوات البشرية من الحب إلى الخير والسلام والسعادة والحزن، ومن ثم كانت نصوص الأدب شعرا أم نثرا مرجعا تاريخيا للمشاعر الإنسانية في لحظات صفائها.

وقد كان ظهور العنف في النصوص الأدبية مقرونا بمفهوم الآخر الذي يتجلى بوضوح في أغراض الحماسة والبطولة حيث يظهر الآخر كعدو يجب دحره والتكامل به، ولعل الشعر العربي كان حافلا بهذه التيمة لما كان من صراع قبلي عنيف متجذر في الحياة الاجتماعية العربية، وقبل ذلك تورخ لنا النصوص القديمة كالإلياذة والأوديسة وقبلها المهابهارتا وملحمة كلكامش (جلجامش) هذا الصراع الذي يأخذ شكل العنف في التعامل مع الآخر ؛ والغريب في الأمر أن هذا العنف كان مقبولا في الحياة الأخلاقية والاجتماعية والنفسية للشعوب القديمة. لكن منذ بداية ظهور ملامح النزعة الإنسانية مع الحضارة العربية الإسلامية وعصر الأنوار بدأ يظهر العنف في شكله المرفوض في كل الثقافات وبدأ تخريج الشجاعة يدعى الدفاع عن النفس .

لا يمكن الاستهانة بتيمة العنف في الأدب فقد كانت أهم العوامل وراء شهرة ونجاح الكثير من الأعمال العربية، عزازيل، ثلاثية أحلام مستغانمي، ثلاثية غرناطة، أعمال واسيني الأعرج، فرنكشتاين في بغداد، دروز بلغراد ... وغيرها من الأعمال.

ومن دون شك أيضا، فإنّ هناك علاقة عضوية بين المجتمع واللغة، إنها في الواقع علاقة تبادلية وكائن ينمو ويتأثر بمحيطه . وبالقدر الذي تتم فيه رعاية اللغة

والمحافظة على أصولها وثوابتها والدفاع عن قواعدها المعنوية والمادية، فإنها تحافظ على مكانتها كعنوان للتمييز وكدلالة عن طبيعة الهوية والدور الحضاري .

وعليه فسنتطرق في هذا الفصل إجمالاً إلى عنف اللسان في النقد المعاصر بداية بتجليات مفهوم العنف كظاهرة تم دراستها في مختلف العلوم، وصولاً إلى تجلياتها داخل النص الأدبي وبالضبط الروائي في هذه الدراسة.

## أولا / عنف اللسان :

إن ظاهرة العنف اللساني جزء من الواقع المعيش في المنطقة العربية حديثا ويمكن ملاحظة ذلك في تدني نوعية الخطاب اليومي الذي ينتجه الأفراد، أو الجماعات، ويترتب على ذلك أن تتراجع اللغة كمحرك للقيمة، وتصبح اللغة مجرد وسيلة كلام، فينكمش المتكلم من شح ما يتقوه به، ويصاب المتلقي بخيبة أمل من ضحالة ما يتعرض له فاللغة تتميز بقيمتها الممثلة لثقافة أو حضارة متميزة، ومتى تراجعت أو تلاشت القيمة، لا تعود اللغة أداة ثقافة أو حضارة، بل تصبح مجرد أصوات تستخدم لتحقيق بعض المنافع ليس إلا.

### 1/ العنف :

#### أ. لغة :

- جاء في معجم لسان العرب مادة: "(عنف): هو الخرق بالأمر وقلة الرفق ليشمل كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتفريع".<sup>1</sup>

- وجاء في معجم الوسيط، "عنف به ، وعليه ،عفا و عناية : أخذه بشدة وقسوة و إعتف الأمر أخذه بعنف ،وإعتف الشيء:كرهه".<sup>2</sup>

- "والعنف ضد الرفق ،تقول عنف عليه بالضم عفا ،وعنف به أيضا ، والتعنيف التعبير واللوم".<sup>3</sup>

ومن هنا نتوصل إلى أن المعاجم أجمعت على أن العنف هو كل سلوك يشمل القسوة والشدة .

---

<sup>1</sup> -ابن منظور، لسان العرب، مادة عنف، ت: عبد الله علي الكبير و آخرون ، ج4 (دت)، ص 3132

<sup>2</sup> - إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط 2، ج 2.1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، (د)، ص 631 (ت)

<sup>3</sup> - (الرازي) محمد بن أبي بكر عبد القادر ، مختار الصحاح، طبعة مدققة كاملة التشكيل ، مكتبة لبنان 1989، ص 404

و من الناحية التاريخية فإن كلمة العنف (violence) مشتقة من الكلمة اللاتينية vis أي القوة وهي تعني في سياقها التاريخي اللاتيني القديم، حمل القوة تجاه شخص أو شيء ما.<sup>1</sup>

فيعرفه القاموس الفرنسي (لوبوتي لاروس) أنه: "كل ممارسة للقوة عمدا أو جورا، وكلمة عنف (violence) الفرنسية مستعارة من الكلمة اللاتينية (violence) المشتقة من الفعل (violare) التي تشير إلى القوة وان كان مفهوم القوة (force) أكثر شمولية من العنف فهذا الأخير من الناحية اللغوية هو الإكراه المادي الواقع على شخص لإجباره على سلوك أو التزام ما".<sup>2</sup>

أما في اللغة الانجليزية فان الأصل اللاتيني لكلمة (violenti) (violence) ومعناه الاستخدام الغير مشروع للقوة المادية بأساليب متعددة، لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالمتلكات، ويتضمن ذلك معاني العقاب والاعتصاب والتدخل في حريات الآخرين<sup>3</sup> فهناك إجماع أيضا عند الغرب على أن العنف هو ذلك السلوك غير مشروع باستعمال القوة وإلحاق الأذى بالآخرين .

## II. اصطلاحا :

ذهب العلماء إلى أن العنف فعل مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة والعنف (violence)، فكل فعل يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من الخارج فهو فعل

---

1- ينظر: علي أسعد وطفة ، العدوانية في سيكولوجيا فرويد ، مركز الوافدين للدراسات والبحوث الإستراتيجية(د.ط) ، 2012  
جامعة الكويت ،ص 27-28

2-le petit la rous eillustre.maisond'edition .la rouse. Page 1069

3- ينظر: قبي آدم، رؤية نظرية حول العنف السياسي في الجزائر، مجلة الباحث ،عدد01، 2002،جامعة ورقلة ص 102.

عنيف، والعنيف أيضا هو القوي الذي تشد سورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة والثورة الجارفة<sup>1</sup>.

ويقترح روبرت أودي "robert audi" تعريفا للعنف قوامه : "مهاجمة الأشخاص أو استغلالهم على نحو جسماني أو نفسي شديد ، ولكن الآراء أكثر شيوعا في المستوى الفلسفي هي أن العنف هو الإيذاء عن طريق استخدام القوة المادية الشديدة"<sup>2</sup>.

أما "شارلز ريفيرا" "charles reverra" و"كينيث سويتز" "kennethswitzer" فيعرفانه بأنه "الاستخدام غير العادل للقوة من قبل الأفراد لإلحاق الأذى بالآخرين والضرر بممتلكاتهم"<sup>3</sup>.

ويظهر من خلال التعريفات أن العنف هو جميع الأعمال التي تتمثل في استخدام القوة الإكراه بوجه عام ومثالها أعمال الهدم والإتلاف والتدمير، والتخريب، وكذلك أعمال القتل والفتك والتعذيب وما شابه، والضغط المعنوي الذي ينزله الإنسان بالإنسان.

للعنف إذن مستويان اثنان : مستوى الفعل ومستوى الشعور، ففي المستوى الأول يقابل العنف السلم والنظام، اللذين يتسبب في خلخلتهما، ويقابل في المستوى الثاني التروي والهدوء والتحكم في الانفعال، فهو بهذا مجموعة من الأفعال والتصرفات التي تتجسد من خلال استعمال القوة ضد شخص ما، الشيء الذي يترتب عنه أذى وضرر جسدي ونفسي ، تتفاوت درجتهما بحسب قوة العنف الممارس، كما أنه صفة بشرية طبيعية ملازمة للنفس الإنسانية هذه النفس التي وصفها القرآن الكريم في آيات عديدة فمنها المطمئنة والراضية المرضية، ومنها الأمانة بالسوء... الخ، فالعنف إذن شعور وانفعال طبيعي محايث لسلوك الإنسان، لأنه عندما يخرج إلى الحياة ويتخذ له مكانا ما في الوجود تعترض رغبته رغبات الآخرين فيتولد بالضرورة التدافع والغيرة والحسد والعنف،

<sup>1</sup> - ينظر:جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب الجغرافي ،الجزء 2 ،(د،ط) (د،ت) ص 670

<sup>2</sup> - علي أسعد وطفة ، العدوانية في سيكولوجيا فرويد، ص27

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ،ص 29

وهكذا فالعنف يسم العلاقات الإنسانية ويتواجد في كل لحظة تلاق، وأثناء كل تحاور بين الناس<sup>1</sup>.

إن تحديد مفهوم واحد للعنف مجال واسع عريض، فهذا المصطلح يمكن أن يشير إلى أي شيء من التهديد بالقوة أو استخدامها لإهدار الكرامة الإنسانية فيقول: "ومن أخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه إلى أن يصدده وازع"<sup>2</sup>.

وقد تعرض له في نظريته عن الصراع عندما عرفه بأنه هجوم البدو على الحضر وتأسيس الدولة، أما أسبابه فيردها إلى العصبية وتعني عنده الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة<sup>3</sup>.

وأساس العصبية عند ابن خلدون هو الاستعداد الفطري الذي يدفع الفرد إلى نصرته قريبة بالدم والدفاع عنه ظالما أو مظلوما، ويعرف مصطفى حجازي العنف بأنه : لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حين يشعر المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي وحين تترسخ القناعة عنده بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه<sup>4</sup>.

فالعنف إذن يلبس عدة أشكال وليس مخصصا بنوع معين، فيكون اجتماعيا، أو سياسيا أو ثقافيا، أو لغويا أو فكريا... الخ.

---

<sup>1</sup> - ينظر مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة السلطان مولاي ، المملكة المغربية ص4.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المقدمة ، تح : علي عبد الواحد وافي، دار النهضة ، ج1، ط1، مصر (د،ت)، ص482

<sup>3</sup> - ينظر : المرجع نفسه، ص484

<sup>4</sup> - ينظر : مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، ط9، 2005، الدار البيضاء، المغرب ص165

فالعنف أيضا ظاهرة مركبة لها جوانبها السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والنفسية فهو ظاهرة عامة تعرفها كل المجتمعات البشرية بدرجات متفاوتة، كما انه الاستخدام غير الشرعي للقوة والتهديد لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين والممتلكات وذلك من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة اجتماعيا، كما أنه نمط من أنماط السلوك الذي ينبع من حالة إحباط مصحوب بعلامات التوتر و يحتوي على نية سيئة لإلحاق ضرر مادي ومعنوي بكائن حي أو بديل عن كائن حي، إلى جانب أن العنف أحد أوجه الروح الكابطة للفرد وانعكاس من انعكاسات الأنا و الأنانية حتى وإن كان في حالة دفاع<sup>1</sup> وليس العنف ماديا فقط يمارسه فرد ضد فرد آخر، بل هو أيضا حدث لغوي أو فعل كلامي يعبر عن موقف ما،<sup>2</sup>سمته البارزة التنازع والخصام، فيتولد العداء والكره والبغضاء فهو شعور

<sup>1</sup> -ينظر: زكريا يحي لال ، العنف في عالم متغير ، كلية التربية ، ج 1 ،موقع الالكتروني لجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

<sup>2</sup> \* مفهوم اللسان :أ/لغة : لسن : اللسان : جارحة الكلام ،وقد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ:

قال أعشى باهلة :إني أنتني لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر

ابن سيده : واللسان المقول ،يذكر ويؤنث ،والجمع ألسنة فيمن نكر مثل حمار وأحمره وألسن فيمن أنث مثل ذراع وأذرع ،لان ذلك قياس ماجاء على فعال من المذكر والمؤنث وان أردت باللسان اللغة أنثت ،يقال : قل أن يتكلم بلسان قومه ،قال اللحياني : اللسان في الكلام يذكر ويؤنث . (ينظر : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) ،لسان العرب، ج13،دار صادر ،2003،ص198).

ب/ اصطلاحا :اللسان ظاهرة اجتماعية هامة في حياة الإنسان الفرد والشعوب والمجتمعات كما أنه يعتبر نظاما من الأدلة المتواضع عليها فاللسان على هذا الاعتبار ليس مجموعة من الألفاظ يعثر عليها المتكلم في القواميس أو يلتقطها بسمعه من الخطابات ثم يسجلها في حافظته كما أنه ليس أيضا مجموعة من التحديدات الفلسفية للاسم والفعل والحرف أو القواعد المسهية الكثيرة الشواذ بل هو نظام من الوحدات يتواصل بعضها ببعض على شكل عجيب وتتقابل فيها بناها في المستوى الواحد ،التقابل الذي لولاه لما كانت هناك دلالة .إن اللسان أداة تبليغ ينتمي إلى مجموعة الوسائل التي يستعملها الإنسان للتبليغ ،ولكن هذا لا يعني أن كل الوسائل ينطبق عليها ما ينطبق على اللسان ولهذا لا يصلح أن نطلق لفظة اللغة على كل ما هو وسيلة تبليغية وذلك لان لكل من اللسان والوسائل التبليغية الأخرى صفات خاصة والمقياس الأساسي للفصل بينها هو نوعية الخطاب وكيفية بنائه قد يكون الخطاب

صوتا أو رسما أو صورة أو حركة أو أي شكل من الأشكال يختلف باختلاف الوسيلة المعينة . ومن هنا فان اللسان هو أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل ما يخيره الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى وينتهي هذا التحليل إلى=

وانفعال داخلي وسلوك ورد فعل خارجي، وهذان المظهران (الداخلي والخارجي) تعبر  
عنهما اللغة في كل مستوياتها الرمزية والبنوية صوتية، معجمية دلالية ...

فعلى المستوى الدلالي والمعجمي، يتلفظ بالعنف باستعمال طائفة من الكلمات التي  
تنتمي إلى قاموس مفردات السب والشتم والتهديد والتعنيف والتجريح، وألفاظ تحيل إلى  
المواضيع المحظورة كالجنس والأخلاق، والدين، وخدش الحياء. أما على المستوى  
الصرفي، فتستعمل كل الصيغ الصرفية التي تسمح للغة بتشكيلها (أفعال وأسماء جامدة  
ومشتقة ...)، وعلى المستوى التركيبي، تستخدم تراكيب متنوعة (فعلية، اسمية) وجمل  
مختلفة خبرية، تعجبية، أمر... لتأدية معانيه<sup>1</sup>.

---

وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى  
وحدات مميزة ومتعاقبة وهي العناصر الصوتية ويكون عددها محصورا في كل لسان وتختلف هي -أيضا- من حيث  
ماهيتها والنسب القائمة بينها باختلاف الألسنة . فاللسان وسيلة أي أداة يستعملها الإنسان لتؤدي وظيفة معينة هي  
وظيفة التبليغ والاتصال والأخبار . كما أن للسان عدة وظائف منها : الوظيفة التبليغية-الوظيفة التوصيلية - الوظيفة  
الخطابية - الوظيفة التعبيرية-الوظيفة التحقيقية - الوظيفة الشعرية الجمالية . ( ينظر : خولة طالب إبراهيم ،مبادئ في  
اللسانيات ،ط2، دار القصة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2000/ 2006، ص18).

1- ينظر مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية، ص4

## 2/ عنف اللسان في اللغة والتاريخ :

"إن العنف اللساني منبوذ في اللغة نفسها وهذا ما نجده في مختلف المعاجم العربية وغيرها، لقد ورد في القاموس المحيط أن العنف ضد الرفق ... والعنيف من لا رفق له بركوب الخيل والشديد من القول والسير، و إعتنف الأمر أخذه بعنف، وابتدأه، و إعتنفه وجهله، أو أتاه ولم يكن به علم، و إعتنف المجلس تحول عنه وعنفه لأمه بعنف وشدة، وفي الأثر، فإن دلالة اللغة ارتبطت بالاختصار والدقة.

إن العنف اللساني ليس قيمة بل صفة "منبوذة" وهي ليست صفة قائمة في حد ذاتها ولكنها رد فعل غير متوازن على قول أو فعل أو وضع أو ظاهرة تجعل المتكلم يفقد السيطرة على اللغة، فيلجأ إلى جملة من الانحرافات التي تكون من صنع الكلام حتى وإن كان المتحدث قد "ورث" ذلك من المتحدثين الآخرين، ويتجلى العنف اللساني إما في الكلام المباشر أو في الاتصال الغير اللفظي، فالحديث المباشر يخص إما الإتيان بالكلمات "المنبوذة" في اللغة إلى الصادرة من فعل الكلام، أو استحداث أخرى في الكلام الدارج أو المحكيات، أما الاتصال الغير اللفظي فيتضمن ملامح الوجه وحركة العين واليدين مثلا، فاللامح تشمل الوجه العبوس أو القنوط أو المكهرب أو المتكبر أو المتجبر وغيره، وتشمل العين الحدق والغيرة والحسد والنظر إلى الصورة المنعدمة القيمة والأمانة بالسوء... الخ.<sup>1</sup>

وقد حث الوحي القرآني في آية على الحيطة والحذر في الكلام، فأحسن القول ما يوثق الصلة مع الخالق تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }<sup>2</sup> والكلمة تكون دالة إذا حملت مخزونا قيميا ثابتا من جهة ودفعت الإنسان إلى ما هو أفضل من جهة أخرى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

1- ينظر حافظ إسماعيل علوي وآخرون ، وآخرون ، اللسان العربي وإشكالية التلقي ، مركز دراسات الوحدة العربية

ط1، بيروت 2007، ص16

2 - القرآن الكريم ،سورة فصلت ، الآية 33

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ {<sup>1</sup> أما الكلمة التي تفتقد أو تناقض القيمة فليس لها قرار، يقول تعالى: { وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ }<sup>2</sup> والكلمة القيمة تتصف بالصواب والصدق والعدل والحق { لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا }<sup>3</sup> وكذلك نجد قوله تعالى { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا }<sup>4</sup> و { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا }<sup>5</sup> وكذلك { وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ }<sup>6</sup>.

إن قيمة الكلمة الدالة تكمن في أنها ترتفع إلى المنزلة العليا وترفع صاحبها { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }<sup>7</sup> ووضح الوحي القرآني معايير خاصة في استخدام الأفضل في مخاطبة الآخرين { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }<sup>8</sup>.

كما دعا إتباع النهج نفسه في مخاطبة أهل الكتاب { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }<sup>9</sup> والجدل يغير علم أو حق قد يحدث إفسادا لغويا في الحديث ومن ثم كان الابتعاد عن هذا النوع من الشجار مطلوبا ومرغوبا: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ }<sup>10</sup>. إن الإفساد اللغوي له تبعات وهو إفساد في مجالات أخرى { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ }<sup>11</sup>

1- سورة إبراهيم، الآية 24

2- المصدر نفسه، الآية 26

3- سورة النبأ، الآية 38

4- سورة الأنعام، الآية 115.

5- سورة الكهف، الآية 5.

6- سورة الشورى، الآية 24.

7- سورت فاطر، الآية 10

8- سورت فصلت، الآية 34

9- سورة العنكبوت، الآية 46

10- سورة الحج، الآية 8

11- سورة القصص، الآية 77.

كما إن انحراف الكلام عن بنيته القيمة يؤدي إلى إضعاف الصلة مع الآخر و إلى الوقوع في النزاع والفتنة { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }<sup>1</sup>.

ومن فقه اللغة في العناية باللسان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : {إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار بعد ما بين المشرق والمغرب ،فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبده خيرا أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره } وروي عنه أيضا :{من شهد شهادة زور على ذمي أو مسلم أو من كان من الناس علق بلسانه في الدرك الأسفل من جهنم }، ونجد هذا المعنى الذي ينبذ العنف اللساني بصفة مباشرة أو ضمنا في العديد من الأحاديث النبوية .لقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال { عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ومازال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ومازال العبد يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذبا } وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم {قال علمني شيئا ،ولا تكثر علي لعلي أعيه ،قال :لا تغضب فردد ذلك مرارا كل ذلك يقول لا تغضب } وورد في المعنى نفسه قوله صلى الله عليه وسلم : {ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد شيئا هو خير وأوسع من الصبر }، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { إن في الجنة غرfa ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام أعرابي فقال لمن يارسول الله قال لمن أطاب الكلام ... } وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : { إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون } كما ورد عنه أيضا { من كظم غيضا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء } إن اللغة العربية كغيرها من اللغات تأثرت بمختلف المراحل التي واكبت المجتمع منذ فجر الإسلام، فامتداد

1 - سورة النور ، الآية 63

استخدام اللغة العربية (أي الكلام) مع الفتوحات الإسلامية واكمه إدخال تراكيب وأصوات لغوية ليست من أصل اللغة العربية، فظهر النحو والصرف حفظا على اللغة من هذا "الاعوجاج" <sup>1</sup>

وكان المرجع في ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية وشعر العرب الذي لم يتأثر بالوفاد من التعابير والأصوات، والمثير علميا، أن اللغة العربية تمكنت من "إستدخال" الفلسفة اليونانية والحفاظ عليها بل والتعليق عليها من دون أن تفقد بنيتها في الشكل والمضمون، وينطبق ذلك على نقل أدب الشعوب الشرقية كفارس والهند، ويعود هذا الأمر جزئيا إلى أن اللغة العربية كانت لغة حضارة في تلك الفترة، فاللغة الأقوى عادة ما تستوعب أو تفرض نفسها على اللغات الأخرى، ولا يعني ذلك أن اللغة لم تتعرض إلى نوع من "الإخلال" أو "الإفساد" اللغوي بفعل الجدل الذي ساد مختلف العرق التي أظهرت تأثرا بالفلسفة اليونانية أو اعتراضا على اللغة السائدة آنذاك في المجال الديني بخاصة، فقد شهدت مرحلة الانحطاط تراجعا في تطور اللغة العربية واستخدامها <sup>2</sup>

فاللغة تنمو على قدر تطور أهلها في شتى المجالات والعكس صحيح، وقد تحولت اللغة العربية إلى التعبير بالمشافهة في عهود الانحطاط، فظهرت اللهجات العربية المختلفة وتأثرت كل لهجة بأحوال متحدثيها وواقعهم، ودخلت الطقوس، والشعوذة، والخرافات في الكلام، وظهر المباح، وغير المباح، وكثرت الاستعارات من اللغات الأخرى كالتركية والاسبانية والفرنسية والإنكليزية... الخ وقد عمل الاستعمار على إزاحة اللغة العربية وتكريس واقعها كلغة وضع مترد وأبعدها عن ساحة الفعل السياسي والثقافي، واعتبر الاستعمار الفرنسي في الجزائر مثلا و ابتداءا من 1847 اللغة العربية لغة أجنبية، ومن ثم منع استيراد أو إدخال الكتب والوثائق التي تكتب بهذه اللغة وعمل

1 - حافيظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص 18

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 18

بالمقابل على جعل اللغة الفرنسية لغة لمدارس والإدارة والصحف وحصرت اللغة العربية في المساجد والكتاتيب التي فرضت عليها الإدارة الفرنسية رقابتها .

وهكذا تم الاعتماد على العربية العامية التي تعددت لهجاتها واستعاراتها من اللغة الفرنسية وغيرها، وحديثاً سعت الدول الناشئة في منطقة المغرب العربي إلى إعادة اللغة العربية إلى مكانتها الطبيعية كلغة محادثة ودراسة وإدارة واقتصاد... الخ، عبر ما يسمى بسياسة التعريب، إلا أن هذا المسار شمل اللغة ذاتها لأبنيتها القيمية، بل إن بنية اللغة الجديدة حملت الخطاب السياسي السائد كالليبرالية والاشتراكية... الخ، كما أدى هذا الطرح السياسي إلى تحفظ بعض الفئات المفرنسة التي تنظر إلى اللغة العربية من خلال متحدثيها، أي أنها متخلفة، وبعض الفئات الأخرى التي تعتبر اللغة العربية لغة الدين أكثر منها شيئاً آخر وأن لفظ التعريب يعني إزالة هويتهم اللغوية والثقافية .<sup>1</sup>

---

1 - ينظر: حافيظ إسماعيل علوي وآخرون ، اللسان العربي وإشكالية التلقي ، ص 19.

### 3/ عنف اللسان وتراجع الخطابات المعاصرة :

ويمتد العنف اللساني إلى مجالات تشترك في العنف الذاتي والاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي وغيره. وتتجلى هذه المظاهر في شتى الأساليب .

إن العنف اللساني الذاتي أن يظلم الفرد نفسه والآخرين، فيتفوه بكلمات لا يمكن العودة عنها إذا كان الضرر مس طرفاً آخر في الكلام، ويشمل ذلك مثلاً أن يجعل الفرد مركز اتصاله الغيبة والنميمة وقول الزور وغيره، كما يتضمن ذلك أن يكثر الفرد الحديث عن نفسه ويتباهى بصفات حاضرة أو مفترقة، كقوله: (أنا أعرف )، (وأنا الذي بنيت وشيدت )، و(أنا الشجاع )، و(أنا الذي إذا فعلت تفوقت )، و(أنا الذي يلجأ إليه حين تزيغ الأبصار )، و(أنا الشمس إذا ظهرت لم يبد من كوكب)"<sup>1</sup> .

ولو عاد المتكلم إلى بنية اللغة القيمة لوجد أن ما أصابه من خير فمن عند الله وما أصابه من شر فمن عند نفسه، وما الحديث عن النفس إلا حالة مرضية وعنف لساني يضر بصاحبه قبل أن يضر بالآخرين. ويشمل العنف اللساني الاجتماعي أساليب تجاهل الآخر والتعدي عليه واحتقاره أو إهانته ما يفكك أواصر المجتمع وينهك قواه ويفرغه من القيمة، ويشمل هذا العنف مجالات عديدة، فالبعض يخص الحياة المعيشية الصرفة، والبعض يخص الحياة الأسرية والبعض يخص النمط الجديد من الحياة وتقديس المال واستهلاك منتجات الغير والتباهي بالأبطال والنجوم الذين تعرض صورهم الإعلانات ووسائل الإعلام عامة وينعكس ذلك في ألفاظ خاصة ونكت وأمثال... الخ . وعلى الرغم من أن بعض هذه التعبيرات قد تعكس واقعا معاشا إلا أنها ليست قيما لغوية، كان يقال مثلاً (لازم الواسطة )، (عنده كتاف) (أي عنده سند ) ( طاق على من طاق ) ( أي القوي يأكل الضعيف )، (مش شاطر ) (لا يستخدم الحيلة )، (إلي يقرأ قرأ بكري) (أي أن التعلم لم يعد ممكن الآن )، ( الشركة هلكت )، ( الأقارب عقارب )، (أحيني

1 - ينظر: حافيظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص 22.

اليوم واقتلني غدوة ) ( أي الانتفاع الآني أهم من أي شيء يأتي لاحقاً ما يشير إلى عدم الثقة بالمستقبل حتى القريب )، (كعور وأعطي لعور ) (أي انه العمل بأي رداءة كانت)، وفي مثل هذه الحالة تصيح (الواسطة ) مساعدة أي صفة ايجابية و (الغش )إنقاذ، والتحايل ذكاء، وتجاوز الآخرين حنكة، والتعدي شجاعة، والتكبر رفعة، والحياء خوفاً، والصبر مذلة... الخ، ويعني هذا إدخال بنية أخرى (إفسادية) في المعنى والمبنى.

ويرتبط العنف اللساني بالمناخ السياسي، القاضي بادعاء امتلاك الحقيقة من دون غيرها، واتهام الآخر بأنه لا يراعي إلا مصلحته، وتجاهل الطرف الآخر، ما يسهم في التوتر وتقهقر المجتمع والدخول في الصراعات التي تبدد طاقة المجتمع وموارده ، ويتعلق العنف اللساني بالثقافة، وذلك بتجاهل التباين الثقافي، وإنكار ثقة الآخر واحتقارها وتهميشها، ويشمل العنف اللساني الاقتصاديّات من الاحتكار والتحايل والمضاربة خدمة لأهداف ومصالح خاصة.<sup>1</sup>

إن مرد العنف اللساني في نظرنا هو تفكك البنية القيمية للغة، ومن ثم تفكك علاقة الفرد بالكلام وعلاقته مع الآخرين، وكلما ابتعد الكلام عن القيمة فقد أجزاء كثيرة من معانيه، وإذا كان الكلام قد تأثر بالإرث التاريخي المشوه والمنحدر من عصور الانحطاط والاستعمار وزمن الإيديولوجيات، فإن تقلص ارتباط الكلام باللغة وبنياتها، وما ترتب على ذلك من إفساد للواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي قد جعل عنف اللسان (خطراً) على كيان المجتمع وانتمائيه وعلاقته بالآخرين.

إن الأساس في اللغة التربوية والتهديب، والكلمة الدالة هي القدرة على الانطلاق من المخزون القيمي لتلمس واقعا يعيشه الفرد أو المجتمع وتدفع إلى الأسمى في المعنى

---

1 -ينظر: حافيظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي ، ص 23

والحياة، وبالعكس، فإن العنف اللساني ينزل بالفرد والمجتمع إلى الدنيوي (الدوني)، ويدمر ما أنجزته اللغة من ثقافة وحضارة وقيم امتدت في الزمان والمكان.<sup>1</sup>

#### 4 / حقيقة الوضع اللساني :

إن اللسان (la langue) من منظور معرفي لم يلق إجماعاً في تحديده أو ضبط مفهومه، ولا يهمننا من اللسان كونه أداة تعبير أو أداة تواصل أو بنية لسانية أو نظاماً علامتياً، كما لا يهمننا من شأنه بعده الوظيفي أو الأبعاد الوجدانية والنفسية والاجتماعية المتعلقة به، وإنما همنا أساساً باعتباره واقعا لسانياً ينتمي إلى مجموعة لسانية هي المجموعة اللسانية العربية التي تمتد على خريطة جغرافية شاسعة تضرب في العمق التاريخي للشعوب العربية، واللسان العربي هو اللسان الرسمي لجميع الدول العربية، وهو اللسان الأم للطفل العربي وإن بكثير من التجوز.<sup>2</sup>

هذه حقيقة اللسان العربي في واقعه اليوم، وهو ليس بمعزل عن جملة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية سواء تعلق بالداخل أو بالخارج .

وتبعاً لكل هذا، فإنّ اللسان يقع في قلب كل القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والفنية، وهو صورة تعكس حقيقة الواقع الاجتماعي والنفسي للأفراد أو مجموعة لسانية ما، وتعكس الأنساق الفكرية أو الذهنية لهؤلاء الأفراد، كما تعكس الحالات العصبية والمرضية ودرجة الوعي والخلفيات الإيديولوجية و الأذواق الفنية والمعتقدات الدينية وغيرها. إن اللسان العربي هو أداة للتعبير وأداة للتفكير، وهو أداة لمحاربة الجوع والفقر أو لتكريسهما وهو أداة لمواجهة الآخر، لمواجهة الغرب والهيمنة أو العولمة، ومواجهة مشاكل النقل وتبعاته، واللسان مثلما هو أداة نفوذ وتسلط وهيمنة وهو أداة تواصل منفعي وربما استعماري، وهو أداة لنقل الأفكار والفلسفات والإيديولوجيات

<sup>1</sup> - ينظر : حافيظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص 24

<sup>2</sup> - ينظر : المرجع نفسه، ص 63

والثقافات، وليس غريبا أن يكون اللسان في عالمنا المعاصر اليوم نقطة الاستقطاب التي تتمحور حولها المشاكل التي نحيها، وليس غريبا أن يكون اللسان اليوم من أبرز وأهم القضايا المتصلة بالتقدم والتخلف والتواصل بجميع أنواعه، وهو الورقة الراجعة في سوق الشغل والمضاربة.<sup>1</sup>

وعليه إن وضعنا عموما ليس بمعزل عن وضع اللسان العربي، بل إن هذا اللسان هو المرآة الصادقة التي تعكس حقيقة وجودنا.

## 5/ المعرفة بحقيقة اللسان العربي :

"إن اللسان العربي ليس ظاهرة غريبة أو جديدة على فكرنا وحضارتنا، ويعتبر اللسان العربي من دون مهاترة ولا مبالغة، من أهم الألسن التي حظيت بالدراسة والتأليف، ولعل الكثير من المناهج المتداولة قديما على غاية من الأهمية إذا ما نظرنا إليها في ضوء علوم اللسان الحديثة، وقد يكون اللسان العربي من الألسنة القليلة عبر تاريخها الذي نال حظا وافرا من التحليل، غير أن كل هذا لا يشفع للسان العربي أن يستفيد من علوم العصر ومن اللسانيات الحديثة على وجه الدقة".<sup>2</sup>

إن اللسانيات الحديثة يمكن اعتبارها من أهم وأوسع العلوم الإنسانية انتشارا على الإطلاق، وليس ثمة علم آخر يضاهيها في استقطابها للكثير من المعارف الأخرى اللسانية منها والصحيحة، وفي استقطاب هذه المعارف لها، ولا يخفى أن اللسانيات الحديثة شديدة الاتصال بالرياضيات والإحصاء والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا والتاريخ و الأدب والسياسة ولا أحد يستطيع أن ينكر في هذا المجال الأهمية البالغة التي تحتلها اللسانيات والثورة المعرفية التي أنشأتها بالنظر إلى اللسان في حد ذاته أوفي ما يتصل به من قريب أو من بعيد.

<sup>1</sup> -ينظر : حافيظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي ،ص 65

<sup>2</sup> -ينظر :المرجع نفسه، ص 65

إن اللسانيات الحديثة، وإن كانت مشارب شتى ومدارس عدة، لها من القوة أن تعبر عن الكثير من المفاهيم والحقائق التي هي أقرب إلى الثبات منها إلى التحول كالنظر إلى بنية اللسان في حد ذاته، والنظر إلى وظيفته التواصلية والمعرفية والنظر إليه باعتبار حقيقة أو مجازا .<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> -ينظر: حافيظ إسماعيل علوي وآخرون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، ص 67

## ثانيا : مظاهر العنف اللغوية :

### 1/ المداخل الدلالية : سمات المدلول

**للغف مستويان اثنان :** مستوى الفعل ومستوى الشعور، ففي المستوى الأول يقابل العنف السلم والنظام اللذين يسبب في خلخلتهما، ويقابل في المستوى الثاني التربوي والهدوء وكظم الحنق والتحكم في الانفعالات. والعنف هو مجموعة من أقوال وأفعال التي تتجسد من خلال استعمال القوة ضد شخص ما، الشيء الذي يترتب عنه أذى وضرر نفسي وجسدي تتفاوت درجتهما بحسب قوة العنف الممارس، كما أنه صفة بشرية طبيعية ملازمة للنفس الإنسانية هذه النفس التي وصفها القران الكريم في آيات عديدة، فمنها المطمئنة والراضية المرضية ومنها الأمانة... الخ . فالعنف إذن شعور وانفعال طبيعي محايث لسلوك الإنسان، فعندما يخرج الإنسان إلى الحياة ويتخذ له مكان ما في الوجود، تعترض رغبته رغبات الآخرين، فيتولد بالضرورة التدافع والغيرة والحسد والعنف، وهكذا فلغف يسم العلاقات الإنسانية ويتوالد في كل لحظة تلاق وأثناء كل تحاور بين الناس.<sup>1</sup>

وليس العنف فقط فعلا ماديا يمارسه فرد ضد فرد آخر، بل هو أيضا حدث لغوي أو فعل كلامي يعبر عن موقف سيكولوجي انفعالي ينجز في مقام تواصلية تفاعلية سمته البارزة التنازع والخصام فيتولد العداوة والكراهة والبغضاء، بل المضمرة والأذى فهو شعور وانفعال داخلي، و سلوك ورد فعل خارجي، وهذان المظهران - الداخلي والخارجي - تعبر عنهما اللغة في كل مستوياتها الرمزية والبنوية ( صوتية، والمعجمية، والدلالية، والصرفية، والتركيبية ).

فعلى المستويين المعجمي والدلالي، يتلفظ بالعنف باستعمال طائفة من الكلمات التي تنتمي إلى قاموس مفردات السب والشتم والتهديد والتعنيف والتجريح، وألفاظ تحيل إلى المواضيع المحضورة كالجنس والأخلاق والدين وخذش الحياء وتهين وتطال العرض

<sup>1</sup> - ينظر : مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية، ص135

والشرف وعلى المستوى الصرفي تستعمل كل الصيغ الصرفية التي تسمح اللغة بتشكيلها (أفعال، وأسماء بسيطة ومركبة، وأسماء جامدة ومشتقة، وصفات ... ) وعلى المستوى التركيبي، تستخدم تراكيب متنوعة (فعلية واسمية )، وجمل مختلفة ( خبرية، تعجبية، أمرية ... ) لتأدية معانيه وأما علة المستوى التداولي، فإن ألفاظ وتعبيرات العنف تمثل أفعالا لغوية إنجازية وتأثيرية تؤدي وظائف تداولية معينة، وتسهم في بناء الخطابات العنيفة وتخصيصها بنويًا ونمطيًا.<sup>1</sup>

## 2/ اللغة تسنين مزدوج :

يرى عالم الأصوات الفرنسي " ايفان فوناجي " أن اللغة في مظهرها الكلامي المنجز عبارة عن تسنين مزدوج (double encage) أي أنها نسق تعبيرى يعبر عن نمطين من المعلومات أولاً : معلومات ذات طبيعة لغوية أولية أو أصلية تجسدها العلامات اللغوية من خلال صلة الاعتباط القائمة بين الدال والمدلول، وثانياً : معلومات ذات طبيعة ثانوية أو فرعية ملازمة ومصاحبة للأولى ولا تتسلخ عنها، وقد سمي "فوناجي " هذا النوع الثاني من المعلومات "الأساليب الصوتية ". وهذه الأخيرة حاضرة بقوة في كل تلفظ صوتي. وتتكفل بالتعبير عن مشاعره وإحساساته ومواقفه الانفعالية الواعية واللاواعية، وبعبارة أخرى، فالمستوى الأول يشمل مظاهر اللغة المعرفية والثقافية والعلمية، بينما يختص المستوى الثاني بالجوانب النفسية والشعورية.<sup>2</sup> وتوجد بين هاذين الاثنين علاقة تحويل (transformation) وتحريف (distorsion) سيميائي ودلالي، أي أن المستوى الثاني بحكم كونه معبراً عن المظاهر النفسية والشعورية لدى المتكلم، يعمل على خلخلة وتشويش المعلومات التي يحملها المستوى الأول فيغدو بالتالي مستوى أكثر متاعاً ومرحاً من المستوى الآخر، كما يقوم المستوى الثاني بوظيفة تعبيرية تشخص أعراض ما يتلفظ به المتكلم، و تفصح عن خباياه ومكوناته الدفينة السليمة منها والعليلة.

1 - ينظر : مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية، ص 135

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 136 .

فمن خلال تعبيراته الصوتية نستكشف أصله وفصله ( الجغرافي، اللهجي، الحرفي،  
العمرى والجنسى ...) وحالاته الشعورية والانفعالية .

وبفعل هذا التسنين المزدوج، تصير اللغة نسقا سيميائيا يتضمن مكونين أساسيين:  
مكون النحو فهو عبارة عن نظام من القواعد التركيبية والصوتية والدلالية ويضطلع بتكوين  
المفردات والعبارات والجمل اللغوية، ومكون معدل modulateur ينبغي دمجه داخل بنية  
النحو نظرا لملازمته له، ويعني هذا أنه يتعين على النظرية اللسانية أن تصوغ نحوا  
يخصص لهذا المكون المعدل محلا ووضعا داخل هندسة النحو في اللغات الطبيعية،  
ومما يصوغ هذا المطلب أن كل أصوات اللغة التي تتجزأ أعضاء النطق المختلفة  
(الحنجرة، الحلق، اللسان، الشفتان، الخياشيم الأنفية التي تمثل تجاويف الجهاز الصوتي  
عند الإنسان)<sup>1</sup> تمر بالضرورة أثناء عملية التصويت عبر هذا المحول الذي يضيف عليها  
طابعا تعبيريا، أي يحولها إلى تعبيرات صوتية أسلوبية، وبذلك تتحول أعضاء النطق عند  
الإنسان عن وظائفها الإحيائية الأصلية ( التنفس ، أو هضم ، أو مضغ ، أو استنشاق  
...) الى وظائف تعبيرية تواصلية جمة. وهذه أيضا مفارقة أخرى من مفارقات اللغة  
العجيبة والعظيمة .<sup>2</sup>

---

1 - ينظر: مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية، ص 137.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 137

### 3/ في صوتيات العنف : سمات الدال

إن التعبير الصوتي عن المشاعر والإحساسات هو وسيلة للتخفيف من وطأة التهيج النفسي الانفعالي لدى المرء، وتصريف هذا التهيج وتقليص حدته. وهنا يكمن دور اللغة المتميز والمتمثل في قدرتها على التعبير عن أشياء مادية ومعاني نفسية ومجردة واسعة و متباينة بواسطة وسائل لفظية وصوتية محدودة العدد أو فقيرة .

ولعل هذه مفارقة أخرى من المفارقات التي تحب بها اللغات الإنسانية. فمن مفارقاتها الأخرى كذلك كونها ،في الوقت ذاته،وسيلة للتواصل والتفاهم وإشاعة قيما لحب،وأداة للعنف والخصام والتناذب والجدال و التعبير عن الكره و الضغينة.<sup>1</sup>

إن كل تعبير صوتي،حسب"فوناجي"، هو من منظور التحليل النفسي تحقيق للذة ونوع من اللعب التصويتي الشبقي (érotisme oral)، فكأن أعضاء النطق تؤدي وظيفة تطهيرية نرجسية(une catharsis narcissique)أثناء إصدار أصوات الكلام. لقد عرف ابن جني اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". فالصوت، إذن، وسيط من وسائل اللغة التعبيرية، إذ يفصح عن مقاصد مستعملها ويكشف عن بواطنها النفسية الواعية واللاواعية. لذا فإن للعنف مظهرا صوتيا تحركه وتتحكم فيه عمليات نفسية عضوية، ثم يتجلى بعد ذلك في شكل موجات صوتية متذبذبة ومتباينة فيدرج ترددها وفي حجم سعتها وشدتها وفي مداها الزمني.فالصوت معبر لتداعي النفس ومرآة لمناطقها الظاهرة الجلية والباطنية الخفية ومفتاح لاستكشاف عقدها وذهاناتها وعُصابتها.<sup>2</sup>

وقد اعتبر جاك لاكان (Jacques LACAN) اللاوعي "بنية منتظمة شبيهة بلغة ما" (Le langage est structuré comme un langage). فجعل له بنية دلالية يحتل فيها الدال (signifiant) (الصوت) موقعا فوق المدلول (signifié) بخلاف ديوسير

1- ينظر : مراد موهوب، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية، ص 137

2- ينظر : المرجع نفسه، ص 138

الذي جعل المدلول يشرف على الدال في إطار علاقة الاعتباط التي تتسج بينهما. ويحتل نظاما للغة، أي النظام الرمزي *réel ordre du* - حسب لاكان - مكانة مهمة إلى جانب النظام الواقعي *ordre du réel* والنظام الخيالي *ordre de l'imaginaire*.

ومن الناحية الصوتية، يتحقق العنف من خلال تدخل كل مكونات الجهاز الصوتي عند الإنسان :

- ففي مستوى الصدر والبطن، يحدث تقلص كبير لعضلات التنفس.

- وفي مستوى الحنجرة، يقع ضيق عند مدخل المزمار بتأثير من قوة النشاط العضلي الذي يتم في مستوى العضلات الباطنية السفلى.

- وفي المستوى الفموي، بينت نتائج التحاليل التصويرية بواسطة الأشعة السينية أن عضو اللسان يتراجع إلى الخلف مصحوبا باتساع حجم الفم أو التجويف الفموي.<sup>1</sup>

وتتصف التلغظات الصوتية العنيفة با لخصائص العضوية التالية :

"- حدوث حركات متقطعة في اللسان. ومرد ذلك إلى حركات العبور السريعة جدا المتبوعة بمراحل تثبيت تؤدي إلى تمديد مدة الأوضاع القصوى في الأصوات (الوضعية الأكثر انغلاقا بالنسبة للصوائت المغلقة مثلا الكسرة، و الوضعية الأكثر اتساعا بالنسبة للصوائت الأكثر اتساعا مثلا الفتحة . التي تتزايد عند إنجازها زاوية الفك والمسافة الفاصلة بين الشفتين من 15 ملم إلى 25 ملم.

-توتر عضلي شديد ومتزايد لأعضاء اللسان والشفتين والحلق. فاللسان، مثلا، يتم حصر مقدمته بشدة على أصول الثنايا بالنسبة لصوت التاء، وعلى الحنك الصلب بالنسبة

<sup>1</sup> -ينظر : مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية، ص 138

لصوت الكاف. وتتضاعف، تبعاً لذلك، مساحة الاتصال بين العضوين مقارنة مع التلفظ العادي غير العنيف.

وتؤدي الشحنات الدلالية والتشنجات الانفعالية المصاحبة للعنف إلى مضاعفة المدة الزمنية في الصوامت "الصلبة"، أي الصوامت الشديدة والانفجارية مثل التاء و الكاف والذال. إذ إنها تطيل مدة الانغلاق وتضيق الممر الهوائي أثناء إنجاز الصوامت الاحتكاكية كالفاء مثلاً.

وتتميز التلغظات الصوتية العنيفة كذلك بورود أكبر للصوامت مقارنة بالصوائت (أو الحركات). إذ يلاحظ أن هذه الأخيرة ترد أكثر خلالاً لتعبيرات الصوتية غير العنيفة والهادئة، كما يصاحب التلفظ العنيف تصويت مختنق ومرتج.<sup>1</sup>

أما على المستوى التطريزي *prosodie*، فإن التصويت العنيف ينجز بنبرات قوية متعددة، ويعود سبب ذلك إلى قوة النشاط العضلي لأعضاء التنفس في مستوى الصدر والبطن، وغالباً ما تصاحب هذه النبرات المفخمة والقوية بإطالة فيمدد الصوامت وباستهلال قوي في الصوائت، ويتحقق تنغيماً لعبارات والجمل المنطوقة بعنف من خلال منحنيات لحنية مستقيمة متقطعة تتخذ شكل زوايا، وتكون مصحوبة بقفزات و إنقطاعات على مستوى خط الشدة *intensité*.

وقد حدد (بييرليون) Pierre LEON سمات العنف التطريزية كالتالي : ينجز التصويت العنيف في طبقة لحنية عالية، كما تتخلله فواصل لحنية مهمة. ويتحقق بمنحنى تنغيمي منكسر وغير متصل، وبشدة صوتية قوية وغير مطردة، وبإيقاع متسارع، وبنفس زفيرى وتقلصات مزمارية (حجرية)، وكذلك بقوة تلفظية كبيرة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ينظر : مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية، ص 139

<sup>2</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 140.

" ويظهر من خلال هذه الملامح الصوتية والتطريزية المواكبة لتصويت العنف توظيف رمزي يدل على وجود تشاكل أو تناظر isomorphisme تام بين شدة وقوة هذه الملامح وبين درجة الانفعال الشعوري القوية التي حملها شعور العنف، وبمعنى آخر وجود تشاكل بين الصوت (اللفظ) المعبر وبين المعنى (الشعور) المعبر عنه.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - مراد موهوب ، لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية ، ص 140

## ثالثاً: الأنساق الثقافية في النقد المعاصر :

### 1/ مفهوم النسق :

يعتبر النسق من خلال المفهوم المعجمي له، وجود نظام ثابت يمتلك القدرة على التحكم والتوجيه، من حيث كونه نظاماً يمتلك حضوراً وشرعية، فهو يتغلغل داخل ذاكرة المجتمع ويسيطر عليه ليؤثر في العقل الجماعي .

أما مفهومه الاصطلاحي، فيذهب عبد الله الغدامي إلى إبراز فعل النسق في الخطاب مهما يكن مصدره وهويته بقوله: " يجري استخدام النسق كثيراً في الخطاب العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها وتبدأ بسيطة كأن تعني مكان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط. وقد تأتي مرادفة لمعنى البنية structure، أو معنى النظام system حسب مصطلح ديسوسير . واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهومهم الخاص للنسق " <sup>1</sup>.

يكتسب مفهوم النسق عند عبد الله الغدامي قيماً دلالية وسمات اصطلاحية خاصة لخصها فيما يلي :

- يتحدد النسق عبر الوظيفة النسقية التي لاتحدث إلا في مقام محدد ومقيد .
- تقرأ النصوص والأنساق من وجهة نظر النقد الثقافي، وهذا يعني أن النصوص تعبر عن حالات ثقافية، وليست فحسب نصوصاً أدبية وجمالية، لذلك تعد الدلالة النسقية في النصوص الأدبية الأصل في الكشف والتأويل، دون إنكار وجود دلالات أخرى منها الصريحة ومنها الضمنية، والتسليم أيضاً بوجود قيم فنية وغيرها من القيم النصوية التي لا تلغيها الدلالة النسقية وليست بديلة عنها.

<sup>1</sup> - عبد الله الغدامي : النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية - المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء 2000، ص76.

ويرى الغدامي في هذه الدلالات وما يعتريها من قيم جمالية أفتنة تختبئ من تحتها الأنساق، التي تؤدي إلى استبعاد نصوص كثيرة التي لا تتوفر فيها هذه الدلالة النسقية أو تكون مضمرة.<sup>1</sup>

- إن النسق بكونه دلالة مضمرة في النصوص، ليس من صنع المؤلف ولكنه منغرس في الخطاب وصانعه الثقافة ومستهلكه جماهير اللغة من كتاب وقراء .

- إن النسق ذو طبيعة سردية، وهو خفي ومضمر قادر على الاختفاء دائما، ويستخدم أفتنة كثيرة منها قناع الجمالية اللغوية والبلاغة، وجمالياتها التي تمر الأنساق من تحتها آمنة ومطمئنة .

- الأنساق الثقافية أنساق تاريخية ثابتة وراسخة، تدفع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي تحت هذا النوع من الأنساق .<sup>2</sup>

إن هذه الصفات والشروط التي حددها الغدامي في النص، ركائز يتم من خلالها التميز بين أصناف الخطاب، لان هذه الشروط تأخذ بالدلالة النسقية كبديل مختلف عن الدلالات الصريحة والضمنية، وكبديل عن الجمل النحوية والأدبية .

كما يتداخل مفهوم النسق مع مصطلح آخر، وهو السياق الذي : " يؤخذ مفهومان أحدهما ضيق يحدد فيما هو لغوي محض كالمورفيمات والمعجم والتركيب، والثاني واسع يعادل كلما هو خارج لغوي، كالعلاقات الاجتماعية والثقافية والنفسية التي تحيط بإنتاج العمل الأدبي".<sup>3</sup> وما يؤكد ارتباط السياق بالنسق هو تعلق السياق بالثقافة، وهذا ما يلاحظ في تعريف أحمد حساني الذي يقول : " ان السياق الثقافي هو المحيط الثقافي بمفهومه الواسع للمجتمع اللغوي حيث يختلف المفهوم الذهني للمداخل المعجمية باختلاف

<sup>1</sup> - ينظر : عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية المرجع السابق، ص 77-81

<sup>2</sup> - ينظر : المرجع نفسه ، ص 77-81

<sup>3</sup> - علي ايت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1، الجزائر 2000 ، ص 168.

السياقات الثقافية.<sup>1</sup> فالسياق الثقافي يعني مراعاة الخلفية الثقافية والحضارية في البحث عن المعنى، لأن المجتمع يتكون من طبقات اجتماعية مختلفة، وكذلك من فآت ثقافية لكل منها قاموس لغوي تعبر به عن المعاني والأفكار ووجهات النظر والمواقف. كما أشار البلاغيون العرب التراثيون إلى ظاهر السياق من خلال مقولتهم الدقيقة : (لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبها مقام )، فكان ذلك أن ربطوا الصياغة اللفظية بالسياق .

ففكرتا الحال والمقام مرتبطتان بالبعد الزمني والمكاني للكلام، وذلك الذي يدعو المتكلم إلى تقديم الكلام على وجه معين دون آخر، وهذا الكلام يتصل بزمن الصياغة ويسمى الحال ويتصل بمحلها أو مكانها ويسمى المقام واختلاف صور لكلام يعود بالضرورة إلى اختلاف الزمان والمكان. وعلى الرغم من انتباه النقاد العرب المحدثين إلى فكرة المقام وبقاء عبارتهم المشهورة (المقام و المقال ) تتردد في الكتب السابقة واللاحقة، إلا أن هذا الانتباه المبكر لهذه الفكرة لم يسمح لها أن تتطور إلى نظرية ذات أسس، يمكن تطبيقها على النصوص الأدبية المختلفة .

---

<sup>1</sup> - أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ديوان المطبوعات المعاصرة ، المجلس للثقافة والفنون والآداب ، ط2 ، الكويت 1979، ص 159.

## 2/ مفهوم الثقافة :

**لغة :** يشكل القرآن الكريم مصدرا لمعنى **الثقافة**، وهو الظفر بالشئ بعد البحث والتفتيش عنه كما جاء في الآية الكريمة : { **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَّفْتُمُوهُمْ** }<sup>1</sup>.

وكذلك قوله تعالى : { **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** }<sup>2</sup>.

و إذا بحثنا عن مصطلح الثقافة في المعاجم العربية التراثية، فإننا نجد في لسان العرب "ثقف الشيء : وهو سرعة التعلم. ابن دريد : ثقت الشيء حذقته، وفي حديث الهجرة : هو غلام لقن ثقف، أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، وفي حديث أم حكيم بنت عبد المطلب:إني حصان فما أكلم، وثقاف فيما أعلم "<sup>3</sup>.

إجمالاً، تعني صيغة (ثقف) القدرة على فهم الشيء واحذق فيه ذكاء وفطنة . وبالجمع بين المعنى الوارد في الآيات الكريمة والوارد في لسان العرب، يصبح مصطلح الثقافة في اللغة العربية دالا على الحدة وسرعة الفهم والظفر بالشئ .

**اصطلاحاً :** إن الثقافة كغيرها من المفاهيم في العلوم الاجتماعية تقدم لنا أكثر من معنى بحيث لا نجد تحديدا واضحا لمفهومها، لما تمثله من اتساع وشمول يمسان مختلف جوانب الحياة، حيث نجد ما قدمه عاطف وصفي لتحديد مفهوم الثقافة في كتابه الانثروبولوجيا الثقافية قائلا : إن الثقافة تعني الطريقة التي يعيش بها الإنسان في مجتمع ما سواء أكان هذا المجتمع متقدما أو متخلفا. والثقافة من صنع الإنسان، وقدرته على إنتاج الثقافة هي أهم خاصية تميزه عن باقي المخلوقات الأخرى . ومن أهم عناصر ثقافة اللغة ،حيث تجتمع الثقافة عن طريقها وتسجل وتنتقل من جيل إلى جيل.

<sup>1</sup> - سورة البقرة ، الآية 191

<sup>2</sup> - سورة الأنفال ، الآية 58

<sup>3</sup> - ابن منظور ،لسان العرب ، المرجع السابق ، م 9 ، ص 19 .

والثقافة بدورها تزود اللغة بمختلف مضامينه فهي التي تزود الإنسان بصفة عامة بالموضوعات التي يتكلم فيها، وتمنح المبدع بصفة خاصة الموضوعات التي يبدع فيها كذلك. وتشمل الثقافة أيضا كل ما يصنعه الإنسان من ملابس ومبان و آلات... الخ

وكما نجد من عناصر الثقافة أيضا العلاقات الاجتماعية التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان أي النظم الاجتماعية مثل نظام اللغة والاقتصاد والسياسة والدين والأخلاق ونظم القرابة العادات والتقاليد والآداب العامة والفنون، وكل هذه النظم الاجتماعية توجد في المجتمع بشكل متداخل ومتشابك لا يمكن التميز فيها بين ما هو مادي وما هو فكري وما هو اجتماعي<sup>1</sup>

من خلال هذا النص، يتضمن مصطلح الثقافة كل معقد ومتداخل، ويرتبط ارتباطا عضويا بالمعرفة التي هي سمة بشرية مصدرها العقل والذاكرة . وليست الثقافة فقط طريقة للعيش، وإنما تشمل كل ما يحمله المجتمع من أخلاق وعادات وفنون، وكذا الالتزام المفروض على الفرد نحو كل هذا، أي أن الفرد بكونه عنصرا من عناصر هذا المجتمع فهو مقيد بالثقافة التي يحملها باحترام معتقده وعاداته وتقاليده وأعرافه ، ومتابعة تطور هذا المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا أو تخلفه .

هناك اختلاف كبير بين علماء الانثربولوجيا في تعريفهم للثقافة، فبعض منهم عرفها بأنها السلوك المكتسب، و آخر رآها خلاف ذلك، وجعلها تجريدات مستعارة من السلوك. بينما يرى آخرون بعض الأشياء المادية مثل الأدوات والآلات والملابس والمنازل داخله في نطاق الثقافة ويرفض فريق آخر كل هذه التعريفات ويقول بان الثقافة تقصر على الأفكار وأنماط السلوك وحتى الذين يتفقون على تعريفها بأنها مجموعة من الأفكار يختلفون في تحديدهم مكان هذه الأفكار. فيقول بعضهم أن مركزها هو عقول الأفراد أو

---

<sup>1</sup>- ينظر : عاطف وصفي : الانثربولوجيا الثقافية ، دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديريورن الأمريكية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1971، ص 26-28.

عقول علماء الأنثروبولوجيا . ويرفض آخرون هذا التحديد كله، ويقررون أن الثقافة ليست الأفكار وإنما الأشياء والأفعال الخارجية التي يمكن ملاحظتها حسيًا .<sup>1</sup>

سيجعل ارتباط الثقافة بالسلوك الإنساني مجال بحث علماء الانثروبولوجيا هو نفسه مجال بحث علم النفس ،لهذا يجب ترك السلوك بعده موضوعا خاصا بعلم النفس وقصر الثقافة على تجريدات السلوك المتمثلة في الأشياء والأفعال والأفكار، التي هي من صنع الإنسان، وهو المخلوق الوحيد الذي يملك القدرة على منح هذه الأشياء والأفعال معاني محددة بواسطة "الأفكار والعقائد والاتجاهات والعواطف والأفعال وصور التفاعل والعادات والقوانين والنظم والأعمال و الأشكال الفنية واللغات والأدوات والآلات وجميع الأشياء التي يصنعها الإنسان"<sup>2</sup> وهذا يعني أن علم النفس يهتم بما هو داخلي نفسي غير محسوس، والانثروبولوجيا الثقافية تهتم بكل ما هو خارجي محسوس، وبهذه الطريقة فقط يمكن التمييز بين العلمين لكونهما يدرسان السلوك البشري وباجتماعهما يدرس سلوك الإنسان اجتماعيا ونفسيا .

ويضيف عبد الله الغدامي إلى هذا التحديد تحديدا آخر للثقافة : "إن الثقافة ليست مجرد حزمة من أنماط السلوك المحسوسة، كما هو التصور العام لها، كما أنها ليست العادات والتقاليد و الأعراف ولكن الثقافة بمعناها الانثروبولوجي الذي يتبناه "قيرتز" هي آليات الهيمنة، من خطط وقوانين وتعليمات،كالطبخة الجاهزة، التي تشبه مايسمى بالبرامج في علم الحاسوب، ومهمتها في التحكم بالسلوك ."<sup>3</sup>

للثقافة مفاهيم مختلفة باختلاف الأزمنة والشعوب والطبقات التي يتألف منها المجتمع، وهي تدل : " بالنسبة إلى كل عصر، وكل من الناس على مجموعة من

<sup>1</sup> - ينظر : عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية، ص 65 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 69

<sup>3</sup> - عبد الله الغدامي ،النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 74.

المعارف، والمهارات التقنية والذهنية، وأنماط من التصرف والمخالقة التي تميز شعبا عن سواه من الشعوب " .<sup>1</sup>

وهذا ما دفع الباحثين إلى دراسة خصائصها من حيث مضمونها وارتباطها بالزمان والجماعات البشرية، فالثقافة في هذا الحال هي الصور المتعددة والمختلفة للوعي الاجتماعي، تتعكس وتصلق التعبير الإبداعي فكل نص أدبي نثرية كان أو شعريا يحمل ثقافة معينة تعكس الميادين المختلفة لمجتمعها، وبهذا يكون مفهومها واسعا ومعقدا ومن شروطها الانتظام، ومادامت من إنتاج الإنسان ( التعلم والتعليم والخبرات )، فان الأغراض الشعرية هي شكل من أشكال الثقافة ( السلوك ) التي تنتظم من حيث التكون والتداعي و التأثير والانتشار والانقباض، من هنا نخلص إلى أن الثقافة هي : " مكون معرفي شمولي يرصد حركات الإنسان وفاعليته في إبداعاته وانجازاته بتخطيطات ذكية، ودوافع عقلية ومواقف فكرية ونوازع شعورية متنوعة ومعقدة، تصدر عنها وتقاس بها جميع اهتمامات الإنسان و علاقاته وانجازاته : مادية كانت أو معنوية"<sup>2</sup> فالثقافة هي كل طريقة للحياة يعيشها الإنسان .

---

<sup>1</sup> - جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1979، ص 81.

<sup>2</sup> - عبد القادر الرياعي، تحولات النقد الثقافي، دار جرير، ط1، عمان 2007، ص 15.

### 3/ مفهوم النسق الثقافي :

في ضوء التعاريف السابقة للنسق والثقافة يمكن تحديد مفهوم النسق الثقافي بأنه تلك العناصر المترابطة والمتفاعلة والتمايزة التي تخص المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان في مجتمع معين فمفهوم النسق الثقافي هو تركيب لمفهومي النسق والثقافة ما يمكن ملاحظته من هذا التعريف أن مفهوم النسق الثقافي يقترب أو يتحدد في ضوء مفهوم الايدولوجيا الذي هو : "خطاب فئة اجتماعية معينة تحاول تبرير حقها في السلطة لإدارة علاقات الدولة والمجتمع وفق التصورات المحددة وبرامج محددة " <sup>1</sup> فلإيدولوجيا يمكن أن تشتغل لصالح انساق ثقافية معينة وضد أخرى .

فالانساق الثقافية هي نظام متواصل ومتوارث تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق المحاكاة أو التكرار أو الممارسة بشكل لا شعوري كما في تعلم الأفراد للغة، فهي تبدأ مع الإنسان منذ لحظة ولادته، وتستمر معه طوال حياته ولا تعرف حداً لنهايتها إلا بالموت، فالثقافة تحيط بالإنسان كالهواء الذي يتنفسه فهي تؤثر في أفعاله وتفكيره، وسلوكه وعاداته، فهو يولد ويعيش ويموت من خلال أنماط ثقافية محددة، فحتى الغرائز والحالات الطبيعية يمارسها الإنسان من خلال هذه الأنساق، فعملية الأكل وان كانت رد فعل واستجابة لدافع غريزي بيولوجي هو الجوع إلا أن تلبية هذا الدافع وإشباعه يتم وفق النسق الثقافي الخاص بتناول الطعام وآداب المائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، فنجد الطعام يختلف من حيث نوعه وطريقة طهوه، والأواني التي تستعمل له وطريقة تناوله وعدد الوجبات ونوع الشراب الذي يقدم له <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، ت: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، ج30، بيروت لبنان 1992 ، ص 63.

<sup>2</sup> - ينظر : كريم زكي الحسام الدين ، اللغة والثقافة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 ، ص 65

ويدخل على هذا المفهوم مفهوم آخر هو التكامل الثقافي (l'intégration culturelle) والذي يمكن أن نقف من خلاله على نسق ثقافي معين مرتبط بنسق ثقافي آخر، فلا نستطيع أن نفهم أي نسق ثقافي بمعزل غير أنه من الأنساق أو النظم الثقافية الأخرى فمثلا لا نستطيع أن نفهم من نظام القرابة السائدة في جماعة مادون أن نقف على النظام الديني لهذه الجماعة.<sup>1</sup>

فلا يستطيع فرد ليس لديه اطلاع على الثقافة الإسلامية أن يفهم ويتصور تحريم الإسلام للزواج من الأقارب بالرضاعة إلا إذا درس نظام الدين الإسلامي . والأنساق الثقافية متنوعة مختلفة ومتعارضة ومتناقضة ومتغيرة ومتطورة وقابلة للحياة والموت فنسق التسلط والظلم يقابله نسق التشارك والعدل، ونسق الجهل والتجهيل يقابله نسق المعرفة والتفكير والبحث، نسق العبودية يقابله نسق الحرية ونسق الذكورة أو الفحولة يقابله نسق الأنوثة.

---

<sup>1</sup> - ينظر : حسن سعفان، علم الإنسان، مكتبة العرفان، ط1، بيروت ، 1968، ص 116-117.

#### 4/ النسق والنقد الثقافي :

تعد الثقافة مصطلح المفتاح في مشروع النقد الثقافي، وهي " ليست مجرد امتداد للأدبي والجمالي أو لنظام شكل عام وعال، وإنما هي امتداد لنظام اجتماعي. هي ثقافة ترجع إلى موضوعات مختلفة، كما أنها أيضا تصف عمليات مميزة داخل المجتمع ".<sup>1</sup> إن النقد الثقافي نظرية جديدة في المجال النقدي عني بالجانب المعرفي من حيث أنها تقرّ الثقافة بأنساقها الثقافية المختلفة كما أنها:

" فرع من فروع النقد النصوي، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول إنسانية معني بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه ".<sup>2</sup>

يرتبط تاريخ النظرية النقدية الثقافية عند العرب " بمدرسة فرانك فورت وبا المفكرين الألمان أمثال : هورك هايمروادورنو و ماركيز وفي الوقت الراهن بها برماس، وهي نظرية السوسيو ثقافية نقدية هاجر اغلب أعضائها إلى الولايات المتحدة، وضلت أدبياتها هامشية حتى عادت إلى الظهور مرة أخرى في الستينيات والسبعينيات. وتتبدى الخطوط العريضة للنظرية النقدية بأنها مشروع يسعى إلى دفع قضية التحرر والاعتناق من خلال ما تراه جهدا نظريا موجها ضد الهيمنة، والتي أشاتها مرحلة التنوير واستمرت مع كانط<sup>3</sup>.

فلم تعد تنظر الدراسات الثقافية إلى النص على أنه نص، ولا إلى الأثر الاجتماعي أو النفسي الذي قد يضمن أنه من إنتاجه، إنما تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه وما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية فالنص هنا وسيلة وأداة للكشف عنها، وحسب مفهوم

1 - عبد القادر الرباعي، تحولات النقد الثقافي، ص66.

2- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 83.

3- حفناوي بعلي، مسارات النقد ومدارا ما بعد الحادثة، ترويض النص وتقويض الخطاب، أمانة عمان الكبرى

ط1، الاردن 2007 ص131.

الدراسات الثقافية " ليس النص مادة خاما يستخدم استكشاف أنماط معينة من الأنظمة السردية والإشكالات الإيديولوجية وانساق التمثيل، وكان ما يمكن تجريده من النص .

لكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان، بما في ذلك تموضعها النصوي .<sup>1</sup>

وبهذا المفهوم فإن الدراسات الثقافية لا تقرأ النصفي ظل خلفيته التاريخية والإيديولوجية ، وإنما تركز على الثقافة من باب أنها تساعد على بناء التاريخ وتشكيله وتعد "الدراسات الثقافية والنقد الثقافي الذي يرتبط بها موجودة منذ أواخر التسعينيات هي الأخرى بل يمكن إرجاعها إلى ما قبل ذلك بسنوات إذا أخذنا تأثير ميشال فوكو في الاعتبار . لكن ذلك الإلحاح يؤكد من ناحية أخرى درجة التداخل، التي تقترب من الفوضى داخل المشهد النقدي، الذي فشلت اتجاهات ما بعد الحادثة أحيانا في إنقاذه وفض اشتباكاتة مثل : الماركسية الجديدة والمادية الثقافية، والتاريخية الجديدة، وأخيرا الدراسات الثقافية . " <sup>2</sup>

كما أن هناك بحوث كثيرة ودراسات مهمة تأسس للنظرية النقدية ببعدها الثقافي، فإن "فنسينتليتش" يطرح مصطلح النقد الثقافي مسميا مشروع النقد بهذا الاسم تحديدا ويجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحادثة وما بعد البنيوية، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب هذا ليس تغيرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغير في منهج التحليل يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي . " <sup>3</sup>

يوجه طرح "ليتش" النقد إلى الإفادة من المناهج المتداولة لتحليل النصوص و تأويلها، وكذا دراسة الخلفية الاجتماعية و التاريخية لها، لكن دون إن ينسى الاستعاذة من

<sup>1</sup> - حفاوي بعلي :مسارات النقد ومدارا ما بعد الحادثة، ترويض النص وتقويض الخطاب، ص123.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 135 .

<sup>3</sup> - عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، 31-32

إجراءات التحليل الخاصة بالنقد الثقافي و التحليل المؤسسي، وبهذا يكون قد فتح إمكانات واسعة للنقد الثقافي ما بعد البنيوي .

يركز عبد الله الغدامي في كتابه ( النقد الثقافي ) على العناية بالأنساق الثقافية و مرجعيتها بديلا للمصطلحات الجمالية، لذلك يرى إن النقد الثقافي انتقل من نقد النصوص إلى نقد الأنساق كما يؤكد : "إن النقد الأدبي بكل مناهجه غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي فقد دعا إلى إعلان موت النقد الأدبي، واحتلال النقد الثقافي مكانه ، والهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتسويقه بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب و كشف أنساقه" <sup>1</sup>

وبهذا نكون بحاجة إلى نظرية في النقد الثقافي لتأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية لها، وأيضا من اجل الكشف عن الأنظمة الثقافية، فالذي يميز النقد الثقافي ما بعد البنيوي من سواه هو اهتمامه بأنظمة الخطاب فقط و لاشيء خارجه، لان النصوص وحدها تحمل التاريخ والأبعاد الثقافية المختلفة للمحيط الذي أنتجها، كما أن نظرية النقد الثقافي وحدها تملك الإجراءات لاستخراج كل الدلالات التي تدل على منبع هذه النصوص. فالنص والتاريخ منسوجان معا كجزء من عملية واحدة، ويأتي النقد الثقافي ليكشف عن حقيقة الثقافة التي شكلت هذا التاريخ: "فما من شك أن كافة أنماط الاتصال البشري تضرر دلالات نسقية تؤثر على كل مستويات الاستقبال الإنساني في الطريقة التي بها نفهم و الطريقة التي بها نفسر"<sup>2</sup>. وهذا الكلام ينطبق بخاصة على النصوص التي لا تسمى بالأدبية، لان اللغة التواصلية بين الناس هي الأكثر انفعالا و اتصالا مع الوظيفة النسقية، وهذا لايعني انتقاء النصوص الأدبية أو تهميشها. في مجال وظائف اللغة، أضيفت وظيفة أخرى هي الوظيفة النسقية ، التي هي السابعة بالإضافة إلى الوظائف الست التي كشفها ياكبسون.

<sup>1</sup> - عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 35.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 65.

وهي: التعبيرية، المرجعية التنبيهية، الجمالية النفعية و المعجمية.

و"هذا سيجعلنا في وضع نستطيع معه أن نوجه نظرا نحو الأبعاد السياقية التي تتحكم بنا و با خطاباتنا , مع الإبقاء على ما ألفنا وجوده و تعودنا على توقعه في النصوص من قيم جمالية وقيم دلالية وما هو مفترض فيها من أبعاد تاريخية و ذاتية و اجتماعية كل ذلك قائم و موجود لطالبه.و إضافة إلى ذلك تأتي الوظيفة النسقية عبر العنصر النسقي. وهذا يمثل مبدأ أساسيا من مبادئ النقد الثقافي"<sup>1</sup>. تعد هذه الدعوة في النظر إلى النص على انه حادثة ثقافية، وليس نصا أدبيا خالصا فحسب، فلم يعد النظر إلى النظام الداخلي للغة وحده كافيا في البحث عن المعنى ن لان التحليل اللغوي للنص لا يقدم إلا المعنى الحرفي، في حين يبقى ما يحمله من محتوى اجتماعي وتاريخي وسياسي واقتصادي بعيدا عن التحليل، على الرغم من أن هذا المحتوى المتنوع والثري من مسببات صنع هذا النص من القرائن التي تحدد المعنى. فالتركيز على ظاهر النص قد يبعدها تماما عن المعنى المقصود. وقد نستنتج معاني لم يقصدها مؤلف النص .

" وقد تزداد أهمية الفرضية السياقية ، حينما نلاحظ أن التحول الدلالي للألفاظ يخضع خضوعا ملحوظا إلى ما يضيفه السياق عليها من دلالات قد تبعدها عن معناها التأثيلي".<sup>2</sup> ولهذا فان وضع النص في سياقه الاجتماعي والثقافي والتاريخي عملية حتمية من أجل فهم النص الأدبي الذي نحن بصدد سماعه أو قراءته أو تفكيكه وتحليله، وهنا فقط تظهر قيمة التحليل النسقي وأهميته في الكشف عن معاني الجمل والتراكيب واستنباطها .

بلغت أهمية السياق في فهم النص الأدبي درجة جعلت مارتيني يقول : خارج السياق لا تتوفر الكلمة على معنى، وهنا نلاحظ نوعا من المبالغة في موقف مارتيني ،لان الكلمة المفردة تحمل عدة معاني ويأتي السياق ليحدد واحدا من هذه المعاني . فالسياق – إذا – يحدد المعنى ولكن دون إلغاء قيمة الكلمة مفردة . وهناك من يخالفه في هذا الرأي

<sup>1</sup> - عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 67

<sup>2</sup> - أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ص 160.

: "قد تجازف الفرضية السياقية حينما تعول على السياق دون سواه في التحليل الدلالي وذلك لان حصر السياقات المختلفة يستحيل على الباحث مهما جاهد"<sup>1</sup> وهذا يعني استحالة الإحاطة بكل السياقات التي تستعمل فيها الكلمة. كما أن اللغة تتطور، وبالتالي تتطور معها معاني لكلمات وتتسع وتأخذ شكلا حركيا وحيويا ودالا . يمكن القول من خلال ما سبق أن مجال الدراسات الثقافية يتمتع اليوم بقوة أكبر مما تتمتع به الدراسات النقدية الأخرى في العالم العربي والغربي : " والمؤشر الأساسي في الدراسات الثقافية أن المصطلح هنا سياسي بالدرجة الأولى والأخيرة والسياسة التي يرتبط بها تعبر عن موقف اليسار العالمي في رفضه للتحويلات الثقافية التي واكبت سيطرة اقتصاد السوق وقيم الاستهلاك في المجتمع صناعي رأس مالي على الثقافة الشعبية."<sup>2</sup>

فنستنج من خلال ما سبق أن وظيفة النقد الثقافي هي البحث عن الأنساق الثقافية المبنوثة في الأعمال الأدبية، ومتابعة تطورها عبر العصور، التي لايمكن الوصول إلى استنتاجاتها إلا عبر إستراتيجية النقد الثقافي، وليس حتما أن تكون القراءة مؤسسة على مقولات ماركسية طبقية فالنقد الثقافي هو التوسع في مجالات الاهتمام والتحليل للأنساق لثقافية بكل ما تعنيه الثقافة لأننا لا يمكن أن نتحدث في نقد ثقافي بدون : " معرفة واسعة بالميادين والمعارف والنظريات الأدبية والإعلامية والثقافية المقارنة والمدارس والاتجاهات والأفكار والسياقات ظهورها وانساق نموها وانكماشها داخل الخطابات، كما لا يمكن أن نصبح موضوع الخطاب وصنوفه و( الغلبة ) ومراميها و البنى الشعورية ومهادها بدون أن نضعها داخل حركية المجتمعات أو سكونها."<sup>3</sup>

لأن هذه البنى كلها موجودة وتؤثر في الوعي الجمعي للمجتمع . قبل البدء في البحث عن العناصر الثقافية المتمثلة في العادات والأعراف والنظم والأشكال الفنية

<sup>1</sup> - أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ،المرجع السابق ،ص 160.

<sup>2</sup> - حفناوي بعلي ، مسارات النقد ومدارا ما بعد الحادثة ، ص 135.

<sup>3</sup> - محسن جاسم الموسوي : النظرية والنقد الثقافي ،الكتابة العربية في عالم المتغير واقعها سياقاتها وبنائها الشعورية المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت 2005، ص 14.

المختلفة، وجب أولاً التحديد المكاني و الزماني للبيئة التي نحن بصدد البحث عن عناصرها الثقافية، لأن لكل عصر ولكل بيئة عناصرها الخاصة والمختلفة عن البيئات والأزمنة الأخرى . وهذا الاختلاف يعاين حتى في البيئة الواحدة عندما يتغير الزمن ويتطور المجتمع وينفتح العقل على حضارات غير حضارته وواقعه . خير دليل على هذا هو الاختلاف الذي شهده الإبداع الفني الذي عرفته العصور العربية المختلفة .

اللغة الكلامية هي أوضح وأدق أداة للتعبير عن مظاهر الثقافة في المجتمع تتدرج تحنها عدة أنساق ذات طوابع سياسية واجتماعية ودينية واقتصادية ونسق القيم ونسق اللغة وما سوى ذلك من الأنساق الثقافية المكونة للمجتمع والكاشفة عن هويته.

## 5/ علاقة اللغة بالثقافة :

إن الثقافة هي مجموعة من نماذج التصرف التي تعلمها الإنسان والتي أنشأت ونمت عن طريق استخدام الرموز وتستمد وجودها منها فمنذ أن أصبح الإنسان قادراً على الترميز وبعد أن أصبح قادراً على إعطاء معاني ودلالات معينة للظواهر المادية التي تحيط به، فاللون الأحمر يؤخذ معنى الخطر، وقد يكون علامة للوقوف عند تقاطع الطرق ن وقد يكون رمز الحزب سياسي... الخ. ومن أمثلة استخدام الرموز مقدرة الفرد على التمييز بين أشكال الأبنية المختلفة مثل البيت والمسجد والكنيسة والمصنع والمستشفى، ونلاحظ أن جميع أفراد المجتمع يشتركون في فهم دلالات هذه الرموز فالإنسان وحده هو الذي يمتلك رموز اللغة ويحدد دلالاتها ويحقق بها التواصل الإنساني<sup>1</sup>.

ولهذا فمحاولة الفصل بين اللغة والثقافة يعد عملاً منافياً لطبيعة كل منهما لأن اللغة تعتبر مظهراً من مظاهر ثقافة أي مجتمع، ولهذا يمكن أن نصف الثقافة بنفس الطريقة التي نصف بها اللغة فاللغة تظهر بشكل علامات أو كلمات مكونة من أصوات تحمل

<sup>1</sup> - ينظر : عبد الحميد لطفي ، الانثروبولوجيا الاجتماعية دار المعارف ، ط1، ، القاهرة ، 1978 ، ص 115.

دلالات معينة والثانية تظهر في شكل صورة مادية لها قيمة دلالية أو إستجابية من قبل الجماعات .

إن العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا تعني شيئا أكثر من أن اللغة شيئا أساسيا ثقافيا وأنها نظام يلتزم به أفراد المجتمع، كما أنها نوع من السلوك الاجتماعي مثل أي ظاهرة اجتماعية أخرى تتكون ضمن إطار ثقافة ما، فلا يمكن تحديد مفردات اللغة ودلالاتها تحديدا دقيقا إلا بمعرفة البنية الثقافية للناطقين بها، وبدراسة ثقافة الجماعة اللغوية فتكون ألفاظ اللغة أكبر ما تجده في المعاجم فدراساتها تحتاج للتعرف على العلاقة الوثيقة بين نظام اللغة وأنماط الثقافة وهناك ظواهر ثقافية متضافرة لتشكيل المفهوم العام للثقافة لان كل إنسان يعيش في مجتمعه ويمارس حياته من خلال ثلاث دوائر، دينية واقتصادية وسياسية، فالفرد يولد في مجتمع يكتسب مجموعة من السلوكيات المادية، والقيم والمعتقدات المعنوية التي تصل إلى عقله ووجدانه من خلال اللغة التي تعتبر وعاء لهذه الثقافة، لذا فان دراسة اللغة تقتضي الإلمام بجوانب ثلاثة : نظامها المادي المنطوق، واكتسابها النفسي الفردي، وممارستها الاجتماعية الجمعية.<sup>1</sup>

إن اللغة هي نسق ثقافي من بين أنساق ثقافية عديدة فاللغة وما يتصل بها من أصوات وتراكيب ودلالات وما يصاحب استعمالها مثل الإشارات الجسمية ( signaux ) (physiques) والقيم الصوتية (phonologique valus) ونظام الكتابة ورسم الحروف والقراءة وما يتصل بها من كيفية تعين الأقارب والدين وما يشتمل عليه من المعتقدات والعبادات، وشعائر الدين وأشكالها. وهناك أنماط ثقافية أخرى مثل المأكل والمشرب، ونظام الأزياء والملابس، وغير ذلك من الأنساق الثقافية كنظام المسكن والأثاث ، والموسيقى والغناء، والرسم والنحت ووسائل الاتصال والنقل .

<sup>1</sup> - ينظر : أحمد أبو زيد ، حضارة اللغة ، مجلة عالم الفكر ، م3، عدد1، القاهرة ، 1971، ص25

فاللغة هي من أهم الأنساق الثقافية لأنها تعتبر الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية وسماتها من ناحية فكل ما يكتسبه الفرد ويتعلم من هذه الأنماط يصل عقله ووجدانه من خلال اللغة، فالإنسان لم يعرف الثقافة إلا عندما عرف كيف يشير إلى الأشياء والعلاقات أي أن ظهور الثقافة قد ارتبط بظهور لعلامات التي تكون نظام الثقافة واللغة على ذلك تمثل الوسيط بين الأفراد والثقافة وهي تمتلك ما يكتسبها من القيام بهذا الدور، فدور اللغة في المجتمع لم يقتصر على اعتبارها أداة للاتصال بين أفرادها فقط بل أنها أصبحت تمثل جزءاً أو عنصراً هاماً من عناصر الثقافة وان فهمها فهما جيداً يتوقف على فهم أنماط الثقافة السائدة في المجتمع، فدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا يعني شيئاً أكثر من أن اللغة لها أساس ثقافي وانه لا يمكن تحديد مفردات اللغة ودلالاتها تحديداً دقيقاً إلا بمعرفة البنية الثقافية لهذه المفردات أو لهؤلاء الناطقين بها أو أن دراسة اللغة دراسة عميقة تحتاج إلى التعرف على الروابط اللغوية بين أنماط اللغة وأنماط الثقافة<sup>1</sup>.

فالكل لغة بنية خاصة تمثل تمثيلاً صادقاً البنية الفكرية والشعورية للجماعة اللغوية ومن الثابت أن هذه البنية اللغوية ذات علاقة وثيقة بعقلية المتكلمين، ونظمهم وبيئتهم الثقافية فاللغة تحدد للمتكلمين أنماط من العادات والسلوكيات التي يحيون بها كما ترسم لهم الدوائر التي يدورون فيها، ولاختلاف بين الثقافات كثيراً ما يكون في كيفية التعبير لا في الشيء أو الموقف الذي يجري التعبير عنه ومن هذا الطريقة الخطاب غير المباشر الذي تستخدم بشكل رئيسي كإحدى طرق التأدب، فنجد بعض الثقافات تضع ضوابط لأساليب الخطاب الذي يتخاطب بها أفراد المجتمع الواحد فيما بينهم والتي تختلف باختلاف العلاقة بين المتخاطبين من ناحية الجنس ذكر أم أنثى أو السن أو صلة القرابة أو المركز الاجتماعي ونرى في القرآن الكريم هذا الجانب من الثقافة العربية الإسلامية.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد أبو زيد ، حضارة اللغة ، ص 25

فلا ترتباط بين اللغة والثقافة يوضح لنا أننا لا نستطيع أن نفهم اللغة ومفرداتها فهما صحيحا بمعزل عن الثقافة التي تمثل معتقدات وتجارب الجماعة اللغوية .<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - ينظر : أحمد أبو زيد ، حضارة اللغة ، ص 26 .

## الفصل الثاني

الظواهر اللغوية لعنف اللسان وأثرها  
في بنية النسق الثقافي

# الفصل الثاني

## الظواهر اللغوية لعنف اللسان وأثرها

## في بنية النسق الثقافي

تمهيد

ملخص الرواية

أولاً : العنف السياسي

ثانياً: العنف الاجتماعي

ثالثاً: العنف الاسري

رابعاً: العنف الثقافي

خامساً: العنف الجنسي

سادساً: رؤية نقدية في الرواية

## تمهيد :

إن البحث في خصائص العنف اللغوية يعد مدخلا طبيعيا لفهم الآليات الكامنة وراء التمثيلات الثقافية والمعرفية التي تفرزها المجتمعات البشرية بهذا الشأن، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة. من هنا تأتي أهمية اللسانيات على وجه التحديد، لكونها تمكن من سبر أغوار السيرورات المعرفية القابعة خلف كل نشاط لغوي ينتجه الإنسان داخل سياق ثقافي معين.

والرواية - باعتبارها جنسا أدبيا- يحاول دائما أن يعكس النسق الثقافي الموجود فيه الحدث الروائي أو الراوي، الذي يسعى جاهدا إلى إبراز هذه الأنساق وتوضيح تجلياتها للقارئ وفق ما تقتضيه طبيعة السياق والبحث في الافرازات المجتمعية بشكل عام التي أنتجت الخطاب الروائي .

وما رواية " الطلياني " إلا نموذج من النماذج التي يحاول فيها الروائي الخروج بهذه الأنساق الثقافية في أشكال مختلفة بغية التعبير عن النسق العام للمجتمع ، حيث يعد العنف في هذه الرواية أحد تمظهرات البنية العربية المكونة للمخيل الاجتماعي للإنسان العربي بتاريخه وحضارته وواقعه المعيش وكذلك تمثلاته للمستقبل .

وبداية، ينبغي الإشارة إلى أن تحليل مظاهر العنف اللغوية في ضوء الأنساق الثقافية لا يعني إطلاقا أن الرواية تتميز بخاصية العنف فحسب، لكنه يعد أحد المظاهر الروائية المعبرة على النسق الثقافي بالإضافة إلى مظاهر أخرى، كلها مجتمعة تشكل نسق الخطاب الروائي في هذه الرواية، لكن انطلاقتنا البحثية تحكمها إشكالية العنف وهذا ما سنعرفه في هذا الفصل .

## \* ملخص الرواية :

الطلياني رواية جديدة صنعت هذه الأيام الحدث في تونس لكثرة الجوائز التي حصدها منذ صدورها عن دار التنوير للطباعة والنشر نهاية سنة 2014 ولوصولها إلى طبعها الثالثة في وقت قياسي وهو ما لم نتعوده في تونس باستثناء تلك الروايات التي تطبع منها دور النشر الصغيرة الخاصة بعض المئات من النسخ فحسب .

هذه الرواية التي حصلت على جائزة معرض تونس الدولي للكتاب في مجال الإبداع وعلى جائزة "الكومار الذهبي" وهي تقريبا أكبر وأهم جائزة يمكن أن يتحصل عليها مبدع تونسي وتوجت بجائزة البوكر العربية لسنة 2015، هي باكورة الأعمال الروائية للباحث الجامعي في اللغة العربية وآدابها الدكتور شكري المبخوت وقد فاجأها المشهد الثقافي التونسي الذي لم يسبق أن قرأ له إلا البحث والدراسة والنقد والترجمة .

ثلاثمائة واثنان وأربعون صفحة مجزأة إلى 12 جزء لكل منها عنوان يلخص محتواه تحدثت عن حكاية تونس الحديثة العهد بالاستقلال عن المعمر الفرنسي أي في الفترة الممتدة بين أواسط ستينيات القرن الماضي ونهاية ثمانينات وهي الفترة التي احتضر فيها نظام الرئيس الحبيب بورقيبة والتي عاش فيها اليسار التونسي وهي كذلك الفترة التي شهدت الصراع العنيف بين طلبة الاتجاه الإسلامي واليسار التونسي في الجامعة التونسية والعنف المادي بالأسلحة البيضاء والسلاسل الحديدية الغليظة هذا العنف الذي سالت بعده الدماء في أروقة الكليات والمطاعم الجامعية وحتى في مبيبات الطالبات سالت الدماء من وجوه المنتميات للييسار واليمين فطار الحجاب الأبيض إلى السماء وتعدت "العورات" واقتلع شعر بنات اليسار من رؤوسهن .

كما تكثفت في تلك الفترة محاولات التيار اليمينية للانقضاض على السلطة وتعاضم خطرهم وخاصة بعد تفجيرات النزل السياحية واستعمالهم لماء الفرق (ماء النار) في اعتداءاتهم على التجمعين وذلك رغم ملاحقتهم أمنيا والزج بهم فرادى وجماعات في

السجون ..تتاولت الرواية أيضا ماسبق ولحق تسلم زين العابدين بن علي لمقاليد الحكم وإزاحته لبورقيبة سنة 1987 .

هذا الوضع يذكر بفترة احتضار حكم بورقيبة واستحواد زين العابدين بن علي على الحكم وسكرة الشعب التونسي وطمعه في أن يصنع مع بن علي معجزة متناسيا أنه كان من أهم أعمدة نظام حكم بورقيبة. وهذا تقريبا الإطار العام الذي كتبت فيه الرواية والتي بدت كصيحة فزع ولفت نظر للفاعلين في المجتمع التونسي ليتذكروا الماضي خاصة اليسار الذي خاب بالأمس ولم يتدارك الأمر بل واصل جمع الخيبات رغم أنه كان فاعلا أساسيا في الثورة وما تبعها من أحداث ونضال من أجل فرض الشرعية والانتقال الديمقراطي والتصدي لمن أرادوا الهيمنة على السلطة والذين أرادوا التخلي عن مكتسباتها الاجتماعية ومن بينها مجلة الأحوال الشخصية ...

الإخفاقات التي سجلت بعد الثورة على جميع الأصعدة وخاصة منها إخفاقات المعارضة التونسية التي تبين أنها هشّة وأنها أحزاب بلا قواعد وغير قادرة على الخروج بتونس من أزمتها أي أن التاريخ تقريبا يعيد نفسه دون أن يتعض اليسار والنخبة المثقفة والإعلام بما حدث وهو ما يزرع الخوف في النفوس ولعله يحتم ثورة أخرى حقيقية.

تبدأ الرواية بمشهد عنيف وغير مبرر من عبد الناصر (الطلياني) وذلك بضرب الإمام علالة ضربا مبرحا يوم جنازة والده الحاج محمود، وهو موقف متهور وغير مشرف أدانه كل الحاضرين: لماذا قام عبد الناصر بهذا الفعل الشنيع؟ سؤال مؤجل إلى آخر الرواية لكن يفتح على احتمالات متعددة إذ يبقى هذا السؤال و الإجابة عليه الخيط الذي يتابعه القارئ لمعرفة الحقيقة.

يفتح شكري مبخوت أبواب الرواية على مصراعها ليدخلنا إلى عالم عبد الناصر وهو شخصية محورية لقبّت بالطلياني لوسامته غير العادية، منحدر من عائلة بورجوازية، يقطن إحدى ضواحي العاصمة، له أخ أكبر صلاح الدين مثقف وناجح في حياته يقطن

بسويسرا وهو متخصص في الاقتصاد العالمي يمثل صلاح الدين الممول المادي في اغلب فترات حياة الطلياني ورغم الاختلاف الايديولوجي بينهما إلا انه يقدر فيه ذكاءه وحماسه.

يختار الطلياني الدراسة بكلية الحقوق، أين يُعرف بجرأته وفصاحته ويتزأس إحدى قوائم الحزب الشيوعي التونسي فهو يساري متطرف. ومن خلال شخصية الطلياني يُدخلنا شكري مبخوت إلى عالم الجامعة التونسية وما يعيشه الحزب اليساري من تخبطات وانقسامات لأسباب تافهة، ثم يتعرف على زينة الطالبة في كلية الآداب قسم فلسفة وهي فتاة جميلة ذكية ذات شخصية قوية واثقة صريحة.

وقد طُلب من الطلياني تصفيته لأنها كانت تنقد ما تسميه بالوعي الطلابي البائس والحركات الفاشية ذات المشروع الديني الاستبدادي واليسار أيضا بمركزيته المفرطة وابتعاده عن عفوية الحركة والاكتفاء بقوالب جاهزة حول نمط الإنتاج في المجتمع والتعويل على تحليلات لينين وما وتسيونج حول الواقعيين الروسي والصيني وإسقاطهما على الواقع التونسي.

تعيش الجامعات في تلك الفترة أي أواخر الحكم البورقيبي مضايقات وملاحقات من الشرطة ومنع الاجتماعات (تفعيل قانون 1973 لمنع الاجتماعات غير المرخص لها) والتضييق على الأحزاب الناشطة من إسلاميين ويساريين وكل الذين لا يخدمون مصلحة المجاهد الأكبر بعد تصفيته لليوسفيين. أمّا اليسار فهو في مهبط صراع خانق النظام أمامه والإسلاميون وراءه، وحتى الهياكل النقابية فقدت سيطرتها على الأمور لقد شاخت كما شاخ بورقيبة ولكن لا احد يريد أن يعترف إلا أن عبد الناصر كان دائما يتخلص من الدخول إلى وزارة الداخلية نتيجة للوساطات التي تخدمه دون علمه.

تدخل الرواية منعرجا جديدا بارتباط عبد الناصر بزينة وتتوالى الأحداث، إذ تدخل زينة معترك الحياة للتدريس ويقتل طموحها الدراسي كل حماسها السابقة. ينهي عبد

الناصر الأستاذية ويتخرج من كلية الحقوق (وبذلك لن يشارك في المؤتمر الاستثنائي للاتحاد العام لطلبة تونس في 1988) وتتزامن بداية تصدع علاقته بزينة مع تحوّل في شخصيته عندما يدخل عالم الصحافة. وهنا يفتح شكري المبخوت ملف الصحافة القذر في أواخر عهد بورقيبة: الرقابة والزيغ والعهر السياسي، الذي كان يمارس في هذا المجال لتبويض السلطة وينخرط عبد الناصر في هذا المسار ليصبح أهم صحفي في جريدة دستورية تنطق باسم الحكومة يترأسها عبد الحميد الشخصية التي تصبح اقرب المقربين لعبد الناصر.

بموت أم زينة وهي الرابط الوحيد الذي كان يربطها بقريتها في الشمال الغربي، يموت برقيبة معنويا، ويحصل الانقلاب يوم 7 نوفمبر على يد وزير الداخلية بن علي، انقلاب سلمي يفتح صفحات جديدة في التاريخ التونسي إذ ينقسم التونسيون بين متفائل ومتشائم. غير أنّ عديد الأطراف حتى الأحزاب اليسارية التي فقدت بريقها وقدرتها على التعبئة و الإقناع بسبب الزحف الإسلامي وسقوط الشيوعية 1986 و 1990 انخرطت في تصوّر بن علي بإمكانية إقامة تعددية دون الإسلاميين. ومع إجهاض زينة لحملها، تُجهض أحلام التونسيين بعودة الديكاتورية من جديد مع بن علي وملاحقة المعارضين وغيرها وتزييف الانتخابات سنة 1989.

بعد طلاق عبد الناصر من زينة بعد سنتين من الزواج أو من الارتباط، يدخل الطلياني رغم نجاحه في عمله كمراسل لجريدة أجنبية مرحلة العبثية والبوهيمية، ينتقل من جسد إلى جسد ويوغل في عالم تُقام فيه السهرات لرجال السياسة حيث التنسخ الأخلاقي والعهر.

يتواطئ عبد الناصر مع المستجدات الجديدة، يعيش البطل التناقض بين مبادئه التي كان يعتنقها والحياة الجديدة التي يعيشها. ويتعرفه على ريم الشخصية النسائية بعد جنينة وانجيلكا وبعد نجلاء صديقة زينة يصل بنا شكري المبخوت إلى الحدث القادح الذي

سيرجعنا للسؤال الأول: لماذا ضرب عبد الناصر الإمام علالة فيفسر لصديقه السارد انه تعرض للاعتداء على براءته من طرف ذاك الإمام العاجز. ومثلت هذه الحادثة شرخاً كبيراً في حياته.<sup>1</sup>

## 1/ العنف السياسي:

هو كل سلوك - فعلي أو قولي - يتضمن استخداماً للقوة أو تهديداً بها لإلحاق الأذى والضرر بالذات أو الآخرين، وإتلاف الممتلكات لتحقيق أهداف معينة، كما أن العنف السياسي يعرف أيضاً كافة الممارسات التي تتضمن استخداماً فعلياً للقوة أو تهديداً باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية تتعلق بشكل نظام الحكم، وتوجهاته الأيديولوجية، أو سياساته الاقتصادية والاجتماعية<sup>2</sup>

فبالرغم من الاختلافات الموجودة بين الباحثين في تحديد طبيعة الأهداف والقوى المرتبطة به فإن أغلبهم يعرفون العنف السياسي بأنه استخدام القوة المادية، أو التهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية، فهنا نشير إلى نوعين من النشاط، عنف السلطة وعنف الجماعات التي تعارض السلطة، ففي رواية الطلياني سرد لنا الكاتب فترات من حياة الطلياني في الجامعة فكان موقفه منها ومن الفاعلين فيها سياسياً قاسياً حيث عرضها في صورة مهينة ومشينة تجمع بين التطرف والخيانات والدعوات لتصفية الخصوم جسدياً وتنتج العنف والفساد الأخلاقي تماماً كالجماعات الحزبية الناشطة في

---

1- شكري المبخوت ولد عام 1962 وهو حاصل على دكتوراه الدولة في الآداب من كلية الآداب بمنوبة ورئيس جامعة منوبة وشغل سابقاً عمادة كلية الآداب والفنون والإنسانيات في نفس الجامعة وعضو هيئات تحرير، مجلة إبلا و مجلة رومانو ارابيك ، حصل على الجائزة العالمية للرواية العربية 2015 عن روايته الطلياني، باحث وناقد وأكاديمي . ينظر: لقاء تلفزيوني، قناة الحوار التونسي، حصة كلام الناس، حوار مع شكري المبخوت 2016/03/05، س:10.30.

2- حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية 1771-1985م، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 1، يناير 1992م ص40 - 41

تلك الحقبة المفصلية في تاريخ تونس الحديث من أقصى يمينها الإسلامي إلى أقصى اليسار الماركسي، مروراً بالوسط الليبرالي والاشتراكي .

ثم فضحت أحداث الرواية انخراط الإعلاميين الذين بذلوا كل الجهد في إقناع الناس في افتتاحياتهم "بالتمشي العقلاني للرئيس زين العابدين بن علي والخيارات الواقعية والأبعاد الإنسانية والحرص على إدخال البلاد ضمن الأسئلة الكونية الكبرى"<sup>1</sup>، كما قام المدير بإطلاع عبد الناصر على الطريقة التي يجب أن يتماشى بها للوصول إلى المعلومة المطلوبة "لا بد له من علاقات مع دوائر القرار شريطة ألا يصبح وأشيا قواداً تماماً رخيصاً فتغلق دونه حنفية الأسرار ولحاساً متزلفاً حقيراً فيركل ويرمى به خارج الدائرة"<sup>2</sup> أراد منه أن يكون ذا علاقة بكبار الداخلية، وأن ينهش ويلطم المعلومات دون أن يحس به أحد ولكي لا يرمى من الوسط الذي يعمل به، فالطريق الوحيد لأخذ المعلومات من الرؤوس الكبيرة هي طاولة السكر التي كانوا يتجمعون فيها وكل يتحدث عن خصوصياته من دون أن يدري، من هنا يستطيع الطلياني أن يسلب منهم المعلومات المراد أخذها، أصبح عبد الناصر على وعي بكيفية تماشيه مع كل شخص قابله في مجاله العملي .

تعرف عبد الناصر على الشخصية عم حسن، وهو الشخص المثالي الذي لم يشأ أن يترك "الشعبة الدستورية للأحاسين والقوادة والوشاة"<sup>3</sup> أطلق عليهم هذه الألفاظ للتعبير عن مدى دفاعه عن العمال والتصدي للسياسيين الذين "يريدون الركوب على ظهورنا لاعتلاء المناصب"<sup>4</sup> فقد كان ضد السياسيين الانتهازيين الذين ينهشون لحم المواطن البسيط من أجل تكوين أرضية جاهزة لصالحه، هنا يأخذنا الراوي إلى أن

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت.القاهرة.تونس ، ط7، 2015، ص 252.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 157.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 167

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 167

الطلياني قد أصبح عضوا أساسيا في الجريدة يكتب بحرية مطلقة، إلى أن أوقفه مدير الجريدة بطلب من أحد الشخصيات بحذف المقال الذي قام بكتابته عبد الناصر " لقد **تعديت الخطوط الحمراء**"<sup>1</sup> لأن عبد الناصر كان يكتب بطلاقة وبحرية تامة من دون أن يراعي لاهذا ولا ذاك، فغضب الطلياني من هذا التصرف الذي قام به هذا الشخص "عجبا **الكلب**"<sup>2</sup> استعمل الكاتب هذه اللفظة للدلالة على شدة غضبه منه إلأن نعته بحيوان لايملك العقل ولا التميز ، فهناك متقبل لأرائه وهناك رافض لها، فهناك من مناصري هذا الاتجاه وهناك المعارضين المتطرفين، لاهم مع اليسار ولا هم مع اليمين من بينهم نجد الطالبة زينة الجريئة الصارمة في قراراتها، هذا ما وصفها به الراوي، حيث أنها كانت تشتم كل من اليسار واليمين هذا الأخير الذي أطلق عليها لقب "عاهرة الثورة البروليتارية وبقرة القيادة الثورية"<sup>3</sup>.

ومع تقصي عبد الناصر لسبب تسميتها ، وجد أنهم أطلقوا عليها هذا اللقب نتيجة لعلاقتها الجنسية مع طلبة آخرين من القياديين، كما أنهم لم يطلقوا عليها فقط، بل كانوا من يقوم بتصرف غريب يقومون بإطلاق اسم مشين عليه " **القادر بالله ترافولتا**"<sup>4</sup> هذا القيادي الإسلامي الذي في تصورهم لا يتناسب شكله مع اتجاهه الإسلامي المعروف عليهم العنجهية و كذلك " **بغل الوحدة العربية... خنزير المتوسط**"<sup>5</sup> استعمل الكاتب هذه الألفاظ للدلالة على أن الطلبة في تلك الفترة يطلقون ألفاظا شاذة وقبيحة لمن يتخذ اتجاه معين، فكل له تسميته التي تتطابق مع تصرفاته حسب نظرهم متخذين في ذلك أسلوب الاستهزاء بالآخر.

---

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 209

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 210

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 50

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ، ص 51

<sup>5</sup> - المصدر نفسه ، ص 51

حتى زينة الفتاة ذات القرار الصارم، كانت تتعت اليسار "بالوعي الطلابي البائس"<sup>1</sup> ذلك لعدم تقدمهم ولو بخطوة تخدم اتجاههم يدافعون على آرائهم بالكلام دون الفعل، لم يسلم من لسانها لا اليسار ولا اليمين هذا الأخير الذي أطلقت عليهم " الحركة الفاشية ذات المشروع الديني الاستبدادي "<sup>2</sup> هنا تصف الإسلاميين بأنهم يقومون بتصرفات انتهازية اتجاه المواطنين دون الشفقة عليهم وعلى حالهم، وظف الكاتب هذه النعوت للدلالة على أن زينة لا تنتمي لليسر ولا لليمين، فهي فتاة ذات قدرة جبارة في مواجهة الاتجاهين تتهم الإسلاميين "تحدثون عن هوية ميتة لا تعرفونها فركم خلطة ساذجة من إسلاما لإخوان والوهابية وتأثيرات شنيعة لا تميزون فيها بين البعرة والدرة اذهبوا وقرأوا يا جهلة ، لا تصنع الثورات بأفكار متكلسة إلا لتنتج دكتاتورية تافهة ،أنتم تقدسون الأفكار المحنطة تقدسون أفكار مدرس تربية إسلامية محدود الذكاء ... أنتم أبناء الجهل المغلف بالبحث عن أصل كاذب لم يوجد أبدا "<sup>3</sup>قامت بشتم الإسلاميين وبعثهم باليؤساء الذين لا يحركون ساكنا، يجرون وراء معتقداتهم الخاطئة فكل منطلقاتهم مأخوذة من أناس محدودة الذكاء ومحدودة الفكر، وأنهم يبحثون عن أصل كاذب لا أساس له ، من هنا يأخذنا الراوي إلى العلاقة القائمة بين فتاة وشاب، علاقة لا يعرف بها أحد علاقة الطلياني الشاب اليساري الاتجاه وزينة المتطرفة، علاقة خارج إطار الزواج يتبادلان نفس الشعور ورغم علاقتهما لم يؤثر عليها عبد الناصر في انتسابها للاتجاه اليساري، لكنه لم يرغما على شيء بل بلعكس كان يخاف عنها من الاتجاهين، وما ممكن أن يحصل لها نتيجة لخطاباتها الناقدة كل من الاتجاهين، فحذرنا منهم وبعثهم " بالأوباش والجهلة"<sup>4</sup> مطمئنا بأنه سوف يفعل المستحيل لحمايتها منهم، ويجب أن تكون ذا حيطة من كل حركة غريبة، مبينا لها ما سوف قد يحدث لها من " أخطار تتراوح بين

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص54

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 55

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 57

<sup>4</sup> - المصدر نفسه،ص75

مجرد التأديب بالضرب المبرح الذي يخلق كدمات وخدوشا وجراحا وبين استعمال آلة حادة لطعنها أو ضربها في موضع حساس " <sup>1</sup> كان خائفا مما سوف يقع لها، رغم نقدها لليسار ذلك لأنه كان يكن لها عواطف هي التي جعلته يخاف عنها ويحذرهما .

ففي تلك الفترة كان العنف سواء كان لفظي أو جسدي هو الطريقة الوحيدة لفرض آرائهم ومعتقداتهم القوي يأكل الضعيف. هذا ما يأخذنا إليه عالم الاجتماع (ماكس فيبر) يعتبر القوة "هي الإمكانية التي يمتلكها الفرد في فرض إرادته على الآخرين رغم كل المقاومات المحتملة، ومن ضمن إطار العلاقات الاجتماعية مهما كانت الأسس التي تستند عليها هذه الإمكانية"<sup>2</sup> وكانت في تلك الفترة مجرد إيقاع أية فوضى أو مظاهرات أو تجمعات أو ما شابه ذلك، يقوم أعوان الأمن بضرب الحاضرين وشتيمهم سواء كانوا معهم أم ضدهم، هذا ما وقع لعبد الناصر وزينة، فقد قاموا بضربهما واتهام زينة "بالعهر وتهدها بالاغتصاب والقتل"<sup>3</sup> رغم أنها لم تكن مع المتظاهرين، كانت مجرد قريبة من التجمع، قاموا بدفعهما نحو سيارة السجن " يامبيون، ياقحبة، ياكبول، ياطحان، يابنت الفاجرة، يا فاسدة"<sup>4</sup> قاموا بشتيمها لأنها كانت الفتاة الوحيدة وسط جمع من الرجال فلم يسلموا من لسانهم ولا من أيديهم فقد قاموا بتوجه ضربات لهم " الضرب على الأقفية والركل على الأرجل والمؤخرات " <sup>5</sup> ولكن عبد الناصر قد غضب منهم، وأصبح يطلق عليهم العديد من الشتائم ردا على ما قاموا به لهم وتأثر أكثر لما فعلوه مع زينة حيث شتم الأعوان " الجبناء الكلاب القردة " <sup>6</sup>. بعدها قام مدير السجن بالإفراج عنهما لتأكده بعدم علاقتهما لما حصل في الجامعة، وكذلك لعلاقة له مع عائلة عبد الناصر فكان يعرف

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 76

<sup>3</sup> - حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية 1771-1985م، مركز دراسات الوحدة العربية،

سلسلة أطروحات الدكتوراة (17) الطبعة 1 يناير 1992 ، ص 41

<sup>3</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 84

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ، ص 85

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 85

<sup>6</sup> - المصدر نفسه ، ص 86

كل كبيرة وصغيرة عنه، استغرب عبد الناصر من معرفته بكل خبايا حياته وأصبح يتهمه بأنه وضع له جاسوسا ينقل له أخباره، رد المدير على حكمه السريع بنعته " الثور الاسباني"<sup>1</sup> ذلك لاندفاعه مثل الثور، من دون التفكير فيما قد يقع له من عواقب كما شبه معرفته بكل حياته " من يعرف عنك معلومات تظنها خاصة كمن عراك وجلس يهزأ من عورتك"<sup>2</sup> للدلالة على أنه يعرف كل مايقوم به عبد الناصر، سواء من عمل أو علاقات عاطفية أو شربه للخمر، وعند انتهاء المقابلة اخبره بأن يغير المعينة المنزلية فغضب ونعتها " ببنت الكلب "<sup>3</sup> وذلك لعدم وفائها بما قدمه لها عبد الناصر، من خدمات ومن نقود مقابل خدمتها وتنظيفها للمنزل .

ثم كشف الراوي انخراط العائلة الديمقراطية واليسارية، بما فيها الأحزاب والحركات اليمينية في عملية ممنهجة للدفاع عن نظام بن علي ومساعدته على بسط نفوذه ماديا ومعنويا على كل مصالح ومؤسسات وهيكل الدولة، لا على المعارضة اليمينية واليسارية والقوميين فقط "ثم لم المزايدة والتزديد والتشكيك ؟ ألم يقل كبيرهم الذي علمهم السحر ثقتي بالله ثم في بن علي كيف لا يقول ذلك وقد فك رقبتة من جلل المشقة "<sup>4</sup>

إن هذه الشحنات التي تحملها الرواية في النسق السياسي، والذي يتمثل في فرض آرائهم كل حسب مبادئه وحسب منطلقاته. والكاتب في هذه الرواية أردا أن يبين الصراع القائم في تلك الفترة، فترة نهاية حكم بورقيبة وبداية حكم زين العابدين، فمنهم من رحب بهذا التغيير ومنهم من لم يرحب به، كان السياسيون يتجسسون على بعضهم البعض وكانت الصحافة بمثابة وسيلة نقل ما يحملون في أذهانهم من أفكار ومن مخططات والصحافي كان يبذل كل جهده في استخراج المعلومة من أفواههم، والسبيل الوحيد لبوحهم

1 - شكري المبخوت ، الطلياني ،ص 97

2 -المصدر نفسه ، ص 98

3- المصدر نفسه، ص 980

4 - المصدر نفسه، ص 250

بأسرارهم هي طاولة السكر، شرب الخمر الذي كان يباع أمام العيان من دون مراقبة من رجال الأمن، ذلك مما أدى إلى انتشار الفساد ونهش لحم المواطن البسيط .

## 2/ العنف الاجتماعي :

تعتبر التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتكيف أو يتوافق الفرد من خلالها مع بيئته الاجتماعية، ويصبح عضوا معترفا به متعاوناً، كما أنها تساعد على تمتع الفرد بالشعور بالقبول والانتماء وتجعله عضوا قادراً متعاوناً بهم في خير الجماعة.

لكن المجتمع لم يخل كبقية المجتمعات من مظاهر العنف ، سواء الظاهرة منها أو تلك التي تكون في حالة كمون فهو واقعة تاريخية ارتبط ظهورها بوجود الإنسان وتطورت خلال مسيرة البشرية ونمو الضمير الحضاري ليبتدى بأشكال مختلفة، منها ما هو نفسي وفكري يشتمل على استلاب الوعي والضغوط الفكرية وغيرها من المظاهر التي تختلف اختلافا شاسعاً من حيث الشكل والجسامة والمدلول والهدف .

فالكاتب في رواية الطلياني أدرج الكثير من مظاهر العنف في المجتمع سواء كان اتجاه فرد معين أو فئة معينة حيث بدأ في مطلع الرواية بمشهد به عنف لفظي وعنفي جسدي ألفاظ شتم "يلعن دين والديك ،يا منافق ،يا نذل ،يا ساقط ، أخرج من غادي " أقام عبد الناصر الملقب بالطللياني بشتم الإمام في جنازة والده وعدم قبوله وإقصائه من الوجود إقصاء دينياً واجتماعياً وإنسانياً وأخلاقياً بنعته بالمنافق وبالنذل والساقط كلمة اللعن هي العنف بذاته لأنه نبذ وإلغاء وجود، كما قام بضربه " يوجه ضربة بحذاء البرودكان إلى وجه الإمام كانت صرفقاته مسموعة " ذكر نوعية الحذاء دلالة على صلابته وقسوة الحذاء مما أدى إلى إيذاء الإمام، وبعدها يلوج بنا الراوي إلى حياة هذا الشاب اليساري الاتجاه فهو صحفي في جريدة، كان مجرد مصحح نتيجة لمجهوده وفطنته ترقى وأصبح و أصبح مشرف على ملحق كان يكتب ما يخطر له من دون مراعاة أي أحد إلى أن

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ،الطللياني ،المصدر السابق ، ص7

أصبح توجه إليه نقد على أعماله وكتاباته "بدأت الألسن الخبيثة تنهش لحمه"<sup>1</sup> وباشروا بشتمه "خسارة الميت والكفن معا"<sup>2</sup> لم تعجبهم أعماله ولم تخدم اتجاههم ولا مصلحتهم فكل منهم يريد الكل أن يخدمه " هذا الملحق يصلح للف الخضروات والأسماك ،بهرج والمحتوى فارغ "<sup>3</sup> يستهزؤون بكتاباته حيث وصفوا كتاباته المختلفة بأنها لا تصلح للقراءة بل محلها في السوق بين الخضارين تلف فيها الخضر بين المواطنين الذين لا يتقنون لا القراءة ولا الكتابة .

الطلياني يحلم بمجتمع فاضل تزول فيه الطبقات وتحقق فيه الثورة، فذلك مجرد حلم وعكس ما يحدث في الواقع فعند ذهابه إلى الحي الذي كان يقطن فيه وجد جماعات من الشباب يتناولون على كل من كان جديد في الحي " ملاحقات على السطوح وإخراج للأمواس والخناجر وحتى السيوف، محاولات ابتزاز وتحويل وجهة فتاة ضائعة أو عاهرة جديدة يجتمع عليها نفر منهم للتداول عليها ثم يضربونها فتفر بجلدها منهم "<sup>4</sup> مكونين عصابات يهجمون على من كان جديد في الحي، ويختلسون ما يملك انتشار الرعب في ذلك المكان، كل يستعمل السلاح وأساليب التخويف من أجل السطو على ممتلكات الغير، بالإضافة إلى السكر و الهيجان على المارة، تهجم أحد باندية الحي كما أطلق عليهم الكاتب وقام بتوجيه السكين إلى عبد الناصر، لكنه دافع عن نفسه ولم يسمح لهم بإيذائه، وبعدها جاء أحد من أسياد الحي يتبرأ من ذلك الشاب الذي نعته " الفرخ اللقيط "<sup>5</sup> نعته بأنه لا يملك أبوين، لأنه من لديه والدين لا يفعل هذه الأفعال الشنيعة ومثلما يخاف على والديه يخاف على البقية، لكنه مقطوع من شجرة ولا يبالي من أي أحد.

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ،الطلياني المصدر السابق ،ص 172

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 172

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 173

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ،ص 269

<sup>5</sup> - المصدر نفسه ، ص 270

وجد الطلياني ليست هذه الشريحة منتشرة في الشارع فقط ، بل كذلك هناك العديد من الصحفيين الذين يزاولون معه العمل " يشتغلون بمنطق العصابات والشبكات يتصارعون فيما بينهم باللفظ وأحيانا بالأيدي عالم نميمة وضغائن واغتياب وكذب ونفاق ونرجسيات جريحة جارحة " <sup>1</sup>فكل يبحث عن مصلحته وكل ينهش لحم الآخر سواء بالغيب أي يشتمه ويسبه في الغيب أو أمام العيان إلى درجة الشجار، طبقة تدعي الثقافة والتقدم ولكنها عكس ذلك سواء في حديثهم أو في هندامهم "تجد الواحد منهم بلباس رث وعلى رقبة قميصه رطل من الأوساخ وعلى صدريته بقع من الزيت ،سرواله غير مكوي حذائه لم يعرف إليه شمع التلميع طريقا منذ أن لبسه " <sup>2</sup>هنا أراد الكاتب أن يبين أنا حتى حاملي الشهادات في تلك الفترة ليست لهم علاقة لا بالمهنة ولا بمظهرهم الخارجي فليس كل حاملة شهادة مثقف .

### 3/العنف الأسري :

تشكل الأسرة حيزا مهما في حياة الفرد والجماعة ففيها تنشأ علاقات الدفء والحنان والحميمة بين أفرادها، ولكن هذه المعايير تبدو منعدمة في الأسرة العربية المبنية أساسا على السلطة الأبوية، هذه السلطة تتمثل في السيطرة الذكورية في المجتمع عامة والأسرة خاصة، وبذات في سيطرة أحد أهم أفرادها أبا كان أم أبا .

أدرج الكاتب العديد من ألفاظ العنف الأسري في هذه الرواية ، استهل با العنف من أول المشهد فعندما قام الطلياني بالتصرف البشع مع الإمام في جنازة والده أدى إلى تعرض الطلياني للعديد من الشتائم من طرف عائلته فالأم هي من ابتدأت بشتمه " ولد الحرام لا ينتظر منه غير العيب " <sup>3</sup>طمست ملامحه من الوجود بكلمة واحدة قامت بنعته بولد الحرام رغم أنها أمه، ذلك من شدة غضبها منه إذ شبهته بالولد الذي ليس له أبوين

<sup>1</sup>- شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 270

<sup>2</sup>- المصدر نفسه ، ص 270

<sup>3</sup>- المصدر نفسه ، ص 8

"صلوكا خارج السرب انه الحبة السوداء الفاسدة ببيرها " <sup>1</sup> من شدة غضبها وصفته بالنقطة السوداء في وسط البياض الذي أنجبته، فقد جلب لها العار فكل أولادها كبياض لا توجد فيه أية بقعة لأن الكل كان تحت أمرها وشورتها إلا عبد الناصر، فقد كان ضدها بكل شيء منذ صغره ، أما خاله فقد أرجع تصرفاته إلى " شربه الخمر وعيشته البوهمية <sup>2</sup> فشربه للخمر قد أذهب عقله وأصبح لا يتحكم في تصرفاته، وكذلك عيشته الغير منظمة والغير منضبطة فقد أصبح لا يبالي بأي أحد سواء كان يكبره سنا أو غير ذلك.

ثم أخذنا الراوي إلى معيشته مع أهله في الفترة الأولى من حياته بحيث كان قراره لا يتغير ولا يستشير فيه أحد من أهله، كما كانت نقاشاته حادة مع الأسرة بأكملها "بدأ النقاش يحتد بين عبد الناصر وصلاح الدين ...صرخ السي محمود في وجه ابنه الأصغر :متى ستكف عن وقاحتك وأنت تتحدث إلى سيدك خوك ...اخرس ياكلب ...هم بضرب الفتى الوقح " <sup>3</sup> وظف الكاتب هذا النقاش الحاد بين الابن و الأب الذي كان في صف الابن الأكبر وضد الابن الأصغر فعبد الناصر كان يحس بنقص فيه، استنتج ذلك من معاملة الأهل له كانوا لا يسمعونه في شيء، ولا يتفهمونه الكل يصرخ في وجهه حتى أنه لم يسلم من أخواته البنات فكن يعاملنه معاملة الخدم فكل يضره وكل يتآمر عليه "هات كأسا من الماء ،اجلب لي حذائي " <sup>4</sup> فلكل كانوا يتعبدونه ربما هذه التصرفات التي يقومون بها اتجاهه أثرت بالسلب على حياته، فلم يجد عائلة تلمم عليه أو تحافظ عليه، رغم أنه كان محط أنظار الجميع إلا أنه لم يشعر بالحنان ولا الحب اتجاه أهله كان يسمع منهم التوبيخ والسب والشتم، حتى أنهم لقبوه " ببوك علي " <sup>5</sup> وهو الشخص الوحيد الذي كان يعتني بعبد الناصر، يأخذه للمدرسة فهو شخص غامض شبهوه له في وسخه

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 12

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 9

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص16-17

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 25

<sup>5</sup> - المصدر نفسه ، ص 17

وعدم عنايته بمظهره، فعندما تقوم أخته بتظيفه تهم بنعته " ما أكثر وسخك أنك بوك علي"<sup>1</sup>

كما يسرد الراوي عن الطلياني بأنه شخص فوضوي ولا يهدأ فهو كثير الحركة فلقب ب "شيطان القيلولة"<sup>2</sup> لأنه لم يكن يهدأ و لا ينام في القيلولة، الوقت الذي يكون فيه الأهل كلهم نيام .إضافة إلى عدم اهتمامه بنفسه لا يهتم كذلك بغرفته "ما هذا وسادة فحام أو وسادة ولد سي محمود ...ياربي متى يصبح هذا الخنزير بشرا ..أصبحت قن دجا"<sup>3</sup> كانت الأم تستهزئ به وتغضب منه نتيجة للأوساخ المتراكمة في غرفته، فكانت تنعته بأبشع النعوت ورده الوحيد أنه يحب الأوساخ لكي يسكتهم . خالته آسية هي الوحيدة التي تدافع عنه فتقول لها الأم "حرقك عليه لحليب " أي هل أرضعتيه من حليبك حتى عطفت عليه، ثم يأخذنا السارد إلى فترة شباب عبد الناصر بحيث أصبح حرا في حياته واستقل عن أهله في المسكن، تم التعرف على نجلاء صديقة زوجته زينة المرأة المطلقة ذات القوام الممشوق كما يصفها السارد حيث قامت بفتح قلبها لعبد الناصر عن سبب طلاقها وهو حماتها المتسلطة المتحكمة في ابنها كانت تتهجم عليهم في منزلهم، وتقوم بإهانتها "لم تركت الماعين على الدكة بعد العشاء الأرضية هنا ليست نظيفة افتحي عينيك ،لماذا انت دائما بملابس رياضية أو شبه عارية ،لايناسب الأزرق جفيناك ،أحمر الشفاه هذا لايليق بفمك الواسع الكبير ، يجعلك كعاهرة "<sup>4</sup>تقوم بسبها وشتمها وحتى التدخل في شكلها ومظهرها أمام زوجها من دون أن يحرك ساكنا وليست نجلاء وحدها المخدوعة في زوجها، كذلك لالة جنينة التي تزوجت من رجل عاجز كانت تعامله معاملة سيئة "تبصق على وجهه وتركله برجليها"<sup>5</sup>تعامله كحشرة لا قيمة لها "قامت بغرس

<sup>1</sup>- شكري المبخوت ، الطلياني ، ص29

<sup>2</sup>- المصدر نفسه ، ص 31

<sup>3</sup>-المصدر نفسه ، ص 34

<sup>4</sup>- المصدر نفسه ، ص137

<sup>5</sup>- المصدر نفسه ،ص335

أظافرها في وجهه " <sup>1</sup> متسلطة عليه ربما كل هذه المعاملة السيئة راجعة لعدم رضاها بزواجها وهي صاحبة الجاه والمال وهو مجرد خادم عند والدها والسبب الثاني عجزه الذي كان عائقا بالنسبة لها ، فلم يفككه من يدها إلا سي محمود وزوجته حين كان الطلياني سعيدا لما حصل له " لا يستحق ابن الكلب إلا ذلك " <sup>2</sup> هذا راجع لما قد قان هذا الإمام المخدوع معه فقد كان يتلذذ ما حصل له، من طرف زوجته هذا جزاء كل من يفعل الشر بالآخر .

العلاقة الأسرية بين جميع أفرادها مهمة جدا، لأنها بمثابة نقطة البداية التي يرتكز عليها كل فرد من العائلة فإذا كانت عائلة ململمة لشملمها والكل يخاف على الآخر يكون كل أفراد الأسرة متماسكين ببعضهم والعكس إذا لم تكن أسرة مبالية بجميع الأفراد كل يفعل ما يشاء هنا كل فرد يتحكم فيه المحيط الخارجي الذي يتعامل معه .

#### 4/العنف الثقافي :

في الرواية أيضا إدانة واضحة للمثقف بصفة عامة وخاصة لدارسي الحقوق والفلسفة والإعلام هنا سرد لنا الراوي بأن الطلياني كان يفعل ما يحلو له حيث كان يقوم بشتم الطلبة الذين على حظ وافر من القذارة "ببوك على " <sup>3</sup> هذا اللقب الذي كان أهله يطلقونه عليه فأصبح هو يطلقه على من يجده متسخ الثياب في الجامعة، ليس الطلياني فقط من يمارس حرته في الجامعة بل كذلك الطالبة زينة التي لا تضع حساب لأي احد "كانت تجاهر بالتدخين ، تمسك السيجارة ، وكأنها أستاذة ، تغادر المبيت دون رخصة " <sup>4</sup> هذه الطالبة التي تقصح عن رأيها بكل حرية من دون مراعاة أي أحد وحين واجهها المدير وعاتبها على تأخرها قامت بالرد بكل وقاحة "حين تصلحون النوافذ المكسرة التي تدخل

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 336

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 336

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 29

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ، ص 46

إلينا منها الرياح والأمطار ،حين تنظفون المراحيض وتقضون على الروائح الكريهة المنتشرة في الممرات والأدراج...يومها تصبحون فندقا لا يهرب منه التلاميذ " <sup>1</sup> تواجه المدير بكل وقاحة وعنجهية، لا يهمها إن كان مديرا أو حارسا، هنا بين الكاتب أن في تلك الفترة لا يوجد احترام متبادل، لا بين المدير ولا الطالبة، فغضب منها ورد عليها "أنت وقحة سأطردك من المبيت " <sup>2</sup> أصبح كل منهما يهدد الآخر، إلى أنه لم يصل إلى حل يخدم مصلحته سوى " ابتلاع السكين بالدماء التي تتقاطر منها " <sup>3</sup> ابتلع كل الشروط والتهم التي وجهتها له، لأنه متيقن من قدرتها علا الإفصاح بما يجري في الجامعة، وبما أنها متفوقة في دراستها وهي النموذج الذي يقتدى به من طرف زملائها سواء في دراستها أو في فصاحتها، كانت تحظر للمسابقة لكي تصبح أستاذة في الجامعة وعند سماعها بعدم نجاحها في المسابقة دخلت في موجة هيجان، و أصبحت غير متحكمة فيما تقول للأستاذ المصحح " يا ابن الفاجرة الأنني لم أمكنك من نفسي بعد تحرشك بي، لأنك لم تذق من عسيلي تدمر ورقتي بموضوعية قضيبك " <sup>4</sup> قامت بشتمه نتيجة لعدم نجاحها رغم أنها كانت متأكدة من ذلك وعند رفضها لطلبه لم يكن اسمها في قائمة الناجحين، ولم تتوقف بشتمه "لطمته لظمة سمع صداها " <sup>5</sup> هنا أراد الكاتب أن يبين المنطلق الذي يتماشى به الأساتذة في تلك الفترة، منطلق مليء بالحقارة، حيث يقومون بمطالب من الطالبات اللواتي يدرسنهن، وأن يخضعوا لهم وممارسة ما يطلبونه منهم من أعمال مخلة بالحياء، فمن رضت بعمل مثل هذه الأعمال نجحت في دراستها وتقدمت ومن لم ترض لن تنجح في دراستها حتى وان كانت متفوقة أحسن من البقية، صور لنا عالم كالغابة يعيش فيه حيوانات متوحشة الكل ينهش لحم الآخر من دون مراعاة عواطفه ولا مشاعره يحملون غرائز متوحشة، لا مكانة للعلم عندهم يهتمون بالمظاهر وبالشكليات الخداعة

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 46

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 47

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 47

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 278

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 278

يحملون ألقاب أساتذة في الظاهر، لكن في الباطن ليس لهم أية علاقة بالأستاذ فقد قاموا بتشويه صورة الأستاذ الشريف الذي يعمل بكد ووجد من أجل إيصال المعلومة للطالب من دون انتظار أية مقابل منه، بل يرشده للطريق الصواب، فترة مليئة بالمظاهر المتوحشة .

## 5/ العنف الجنسي :

فضح الكاتب في رواية الطلياني المجتمع التونسي وعم الفساد الأخلاقي على الريف وعلى المدينة في كل الطبقات الاجتماعية والشرائح العمرية فالطلياني كانت أولى تجاربه العاطفية مع لالة جنينة كانت له بمثابة أول مغامرة جنسية في حياته ومحطة تجارب منها انطلق مشواره الغريزي، فلالة جنينة السيدة التي تكبره سنا علمته كل ما يخص المرأة من دون أن تراعي صغر سنه "نزعت ثيابها أمامي، كانت أول مرة ألم فيها جسد فتاة" <sup>1</sup>

كانت له محل اكتشاف ومحل معرفة بالعلاقة الجنسية "تشبعه قبلات حار" <sup>2</sup> تنظر إليه بعين ساهمتين أحيانا ،حالمتين أحيانا أخرى...تزيد في احتضانه وتسرف في تقبيله ،شفاتها وهي تقبله صارتا كتلتين من لهب تلسعانه لسعا لذيذا ،تمص رقبتة برقة أحيانا وبعنف أحيانا أخرى ،عنف محبب لديه " <sup>3</sup> هنا أسرف الكاتب في وصف الحالة التي تكون عليها لالة جنينة بتفصيل "كان يتلمض بقايا رضابها، بادر مرة بتقبيلها على شفيتها مستخدما لسانه...يكشف صدر لالة جنينة ويتلمس التفاحتين ويجوس في اللحم البض، يقلبها فوق السرير ليستمع إلى دقات قلبها متأملا الظهر المرمرى، كان حينها يمرر بيده على المرمر أو يضغط على التفاح تسري في جسمها قشعريرة فيحس بحرارة وتوتر في جسمه...ما بين فخذه أصبح يتمدد وينتفخ... كانت تلتهم شفتيه التهاما...مرغت صدرها الممتلئ في جسده المتقد شهوة ،غرست رأسه بين النهدين...لم تترك موضعا في جسد الصبي بم تمرر عليه لسانها...شعر بارتعاشة ورغبة في

<sup>1</sup>- شكري المبخوت، الطلياني ، ص 21

<sup>2</sup>-المصدر نفسه ، ص 37

<sup>3</sup>- المصدر نفسه ، ص 38

التبول...ضمته إليها تعانقه بقوة...أحس أحيانا بالتخمة<sup>1</sup> كانت لالة جنينة بمثابة الحيوان الهائج لم تراعي سن الصبي الذي أصبح يبادلها نفس الشعور قامت بكل ما أمره به عقلها وشهوتها الحيوانية ،أراد الكاتب الطرق إلى العلاقة غير شرعية فكل يبحث عن كيفية إشباع شهوته من دون مراعاة العواقب كان الأهل يعتبر لالة جنينة بمثابة أمه الثانية فهي تعني به وهي الوحيدة التي تدخل وتجلس معه في الغرفة لكن الجميع لم يكن يعلم ما كانت تفعله مع الصبي المراهق ربما سبب فعلتها كان عجز زوجها الذي ترك لها نقصا تريد دائما تعويضه مع أي أحد لا يهما فارق السن إن كان كبيرا أو صغيرا فالأغلبية كانت تقوم بهذه العملة مع الأصغر منها سنا .

بعدها ولج بنا السارد إلى مراحل حياة هذا الشاب الذي أصبح مطلعا على كل خصائص العلاقة الجنسية ،وبعد تعرف على فتاة أحلامه في الجامعة المدعوة زينة التي كانت محط أنظار الجميع بدأ يتقرب منها شيئا فشيئا إلى أن أصبحت على علاقة بها أعجب بها لأن "ابتسامتها حلوة ، شفيتها مكتنزتين ،صدرها فاخر"<sup>2</sup> هكذا وصفها السارد الذي هو صديقها ،فأصبحت يلتقيان بكثرة سواء في المنزل أو خارجه فلم تمنع تقديمها نفسها إليه "قبلات محمومة"<sup>3</sup> أصبحت على علاقة غير واضحة بينهما ولا بين العالم الخارجي "أغرقتة في القبل...وضعت يدها حول خصره والتصقت به ضاغطة بصدرها على ظهره...سلمت عليه بقبلة خفيفة على شفيتها"<sup>4</sup> وكان يبادلها نفس الشعور " يدرس رأسه في شعرها القصير وصدرها الباذخ ... مرغ أنفه في جسدها كله...جذبت رأسه إلى صدرها "<sup>5</sup> فقد أصبح تلميذا نجيبا في العلاقة الجنسية وقد وصل إلى مبتغاه من دون

1 - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 39

2- المصدر نفسه ، ص 63

3 - المصدر نفسه ،ص 83

4- المصدر نفسه ،ص 100

5-المصدر نفسه ،ص 101

أي جهد "الوصول إلى ما بين فخذيه" <sup>1</sup> بعدما أخذ ما يريد هرمت تبكي فذهل وأخذ يسألها عن السبب " خدعوك وفتضوا بكارتك " <sup>2</sup> هذا ما كان يردده ففتحت له قلبها " سكين لحم قد اخترقها من الخلف متجها نحو الدبر مرة والقبل مرة أخرى ، السكين ينزلق بفعل الزيت الذي دهنت به أو بفعل ماء آخر سال من السكين أو بفعل ماء آخر سال من السكين أو بفعل الدم الذي نزف منها ووجدته على ملابسها وفوق الحصير ... السكين كان صلبا قاطعا يتحرك داخلها كالمنشار ... يد على فمها تكتم أنفاسها تمنعها من الصراخ والأخرى تلصق رأسها بالحائط حتى تشل حركتها ... اليد تضغط عليها شدة ... هذا الدم ، هذا السائل اللزج الذي وجدته ... أخذت تدلك نصفها الأسفل أخذت تدلك قبلها وفخذيهما ودبرها بقوة كأنها تريد تقشر جلدتها ، أن تكشفه ، أن تقتله ، إحساس بالقذارة والوسخ ... احمر جلدتها الأبيض ... كادت تخرق قلبها وهي تدخل الاسفنجة فيه" <sup>3</sup> هذا سبب بكاء زينة تم التعدي على شرفها من دون رحمة ولا شفقة هذا الخنزير المتوحش الذي هجم عليها وتعدى عليها مما أدى بإحساسها بالقذارة والوسخ فقد دمر أكبر شيء تحمله .

لكن هذا الإحساس لم يراودها وهي مع الطلياني " سكرة ممزوجة برعدة ... جسده حقل مغناطيسي بهي ينوم الحواس تشعر في آن واحد بألم لا يطاق ولذة لا تحتل ... و ترضح وتستسلم للسهم لمتعاقبة إيلاما و إذاذا و ايجاعا و إمتاعا ... رسمت على وجنته بشفتين مرتعشتين قبله أغمض عينيه يتصنع التخدر " <sup>4</sup> كانا يتبادلان نفس الشعور . ولم يكتفي الطلياني بزينة التي تزوجها سرا بل عندما أحس بإهمال من زينة راح يبحث عن غيرها فوجد نجلاء صديقة زينة المطلقة التي لم يدم زواجها شهرين لان زوجها " بطئ الإراقة ... لا يريق إلا بعد جهد متواصل تصل فيه إلى مبتغاها ... أصبح يسبب

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ، ص 102

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 105

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص 109

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ، ص 162-181

لها إحساسا دائما با لتهرئة والاحترق ،كان شعورا فضيحا أثناء الجماع وبعده ثم أصبح  
ألما وأوجاعا لا تنتهي " <sup>1</sup>

السبب الذي جعلها تكره الزواج وتكره الرجال، إلا عبد الناصر فهو ليس كبقية  
الرجال له أسلوبه الخاص في جلب النساء إليه، ولكي يصبحن مغرقات به، فأقاما العديد  
من العلاقات الجنسية خلسة على زينة، فكانت لا تظهر له أي إحساس "لولا انتصاب  
حلمتها وانين أصدرته ملتذة لشك في بروقتها " <sup>2</sup> فعبد الناصر و الرجل الذي أخرجها  
من دوامة كره الرجال حتى أنها أصبحت تقيم علاقات مختلفة مع كل من يطلب منها ذلك  
ثم بدأ عبد الناصر سحب نفسه منها لأنه " أصبح يشتم روائح عفنة لأصناف من  
الرجال " <sup>3</sup>.

أما زينة فأصبحت تفر من العلاقة التي تجمعها مع عبد الناصر، ذلك لتفرغها  
لمجالها العلمي، حتى أنها حملت من الطلياني لكنها قامت بإجهاض الولد الذي كان  
سوف يجمع بينهما "لم يكن حل أمامها إلا الإجهاض " <sup>4</sup> مبررتا ذلك بأنها لم تستوعب  
أمر أنها سوف تصبح أما و مسئولة على ولد، فهي مهتمة بمشروعها العلمي ولا تريد أي  
شيء يشغلها، أدرج الكاتب كل العلاقات الغير شرعية التي تجمع بين المرأة والرجل  
الأجانب، لا يربطهما أية رابط ديني، أو رابط واضح للعيان ليس الطليان وحده من يقوم  
بهذه العلاقات فهو مجرد نموذج من بين الآلاف من الشرائح في تلك الفترة، فحتى  
الصحفيين الموهمين الغير بالثقافة والفتنة كذلك يمارسون هذه الأفعال المخلة بالحياء  
فكل يبحث عن إرضاء شهوته بأية طريقة " الممثلات والفنانات الطبقي الرئيسي للجلسات  
،هذه تعاشر رئيس التحرير ...تلك تخون زوجها ... ثالثة مختصة بالتحرش بزملائها

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ،ص188

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 191

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ص 192.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ،ص 295

الصحفيين ...حكايات من هذا النوع لا تتجاوز النصف الأسفل<sup>1</sup> هذه الأعمال غير الشرعية أصبحت محط فخر بين الصحفيين والصحفيات، فكل منهن تفخر بإطاحة رأس من الرؤوس الكبار في المجال، بين الكاتب في هذه الرواية انتشار العلاقات غير الشرعية وعدم وجود مراقبة تمنع هذا التصرف المخل بالحياء، فهم لا يؤمنون بالروابط الاجتماعية ولا يؤمنون بالزواج الشرعي، فكل من تعجبه فتاة يقوم بعلاقة جنسية لإشباع شهوته وانتهى الأمر، فهذا الواقع المر اختزله الكاتب " عالم متعفن ملئ بالخianات والأطماع والبذاءات والحقارات والسفالات"<sup>2</sup>.

طرح الطلياني خلال سرده لجوانب من مسيرته التي لم يواكبها الراوي، الأسئلة الخاصة به كفرد ينتمي إلى مجموعة معينة في زمن معين و الأسئلة الاجتماعية ومكانة القيم والعادات والتقاليد التي تورقه وتورق أمثاله من أبناء جيله من المنتمين إلى اليسار ليصل إلى البحث في الأسئلة الوجودية، وفي كيفية إعادة الاعتبار الكلي للإنسان ومراعاة تفكيره الشخصي وحرية وغرائزه ومشاعره وحق الإنسان في أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيدته شيء وحقه في أن يطرح الماضي ويذكر كل الیود .

---

<sup>1</sup> - شكري المبخوت ، الطلياني ،ص 271

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 156

## 6/ رؤية نقدية للرواية :

أولى شكري المبخوت الجوانب النفسية اهتماما مخصوصا، فإته سعى في هذا السرد الإسترجاعي واللوبي إلى نسج روابط خفية بين مسارات فردية يتداخل فيها الاعتداء الجنسي بأشكال من العصب المجتمعي، فجعل من الاغتصاب ظاهرة متعددة الجوانب تتخطى المدلول اللغوي للكلمة لتقضح حالات من الانتهاك يختلط فيها الجنسي بالقيمي، المادي بالرمزي و الفردي بالجمعي. الغصب حاضر في رواية " الطلياني" حضورا مكثفا: بصوره، بمعجمه وبكلّ تفرّعاته الدلالية وآثاره الكارثية. ما حدث لزينة في الكلية، على سبيل المثال، دمر مستقبلها العلمي الواعد وخرب حياتها العاطفية والزوجية فمذ رسوبها، بدأ انحدارها في هوة لم تعرف قرارا. والحال نفسه بالنسبة إلى للاً جنينة التي زوّجها أبوها بعائلة العنين فهتّك سترها و اختلت كل موازينها لتؤمن، مقهورة، على مضاجعة الصبيان جهرا بعدما كانت أيقونة الحي جمالا ومنزلة<sup>1</sup>.

لكنّ زمرة المنتهكين في الرواية تزداد اتساعا لتشمل كلّ من طاله "الأخذ عنة" لا سيما في المجالين الفكري والسياسي . إنّها بلوى قديمة في تونس. استفحلت عدواها زمن الجنرال الجاهل زين العابدين بن علي. لقد برع عبد الحميد، الرئيس المدير العام للجريدة الرسمية، طيلة مسيرته الصحفية في التماهي مع السلطة القديمة، ثمّ مع الجديدة. بيد أنّه كان يشعر دوما في أعماقه بخيبة المغلوب على أمره بعدما دجّنه النظام الأسبق وأجهز المُغتصبُ الجديد للسلطة، سنة 1987، على ما تبقي من حلمه المهني وطموحه الفكري. وقد أسرّ لعبد الناصر بهذا الإحساس السلبي الذي لا يقلّ مهانة عن شعور المفعول به جنسيا. قال عبد الحميد لعبد الناصر على انفراد مبرّرا معاشرته لنظام لا يقبل

<sup>1</sup> - ينظر : شعبان الحياوي ، مقال نشر بموقع "آداب تونسية" / "LettresTunisiennes"،

<http://www.lettrestunisiennes.com/index.php/notes-de-lecture/34-articles-de-lecture>

إلا بالمتقف المؤمس و الصحافي الخنوع : " طبعا كلنا براغ في هذه الآلة الضخمة،آلة  
تعميم التقاهة والكذب.<sup>1</sup>

أنا طيلة حياتي لم أعرف مهنة غير هذه. ماذا تريدني أن أفعل؟ خبزة مرّة، وفصام  
عليّ أن أتحمّل مسؤوليته و إلاّ جُننْتُ فأنقل إلى مستشفى "الرازي" أو أنتحر أو أصبح  
معارضاً. و كلّها ضروب من الجنون لا أقدر عليها. لقد صفرّ القطار وانطلق مسرعا  
منذ مدّة. .

كثيرا ما ينخرط الصديقان، عبد الحميد و الطلياني، في خطاب تجريحي فاحش  
يجد الذات، يقرح البلاد و العباد، وكأتهما يثاران لنفسيهما من عجز الجميع عن صدّ  
العنوة السافرة، أو بالأحرى، كأنّ الاغتصاب بات في أذهانهم معطى تاريخيا أو قدرا  
محتوما: " لهذه البلاد قابلية للفتح والإخضاع، ركبها القرطاجنيون و الوندال و الرومان و  
الفاتحون والشيعية والخوارج وبنو هلال و الأتراك والإسبان و الفرنسيون. توجّعت قليلا  
لكنّها كانت تحتضنهم بصدر رحب. و رغم قشور المحافظة والتدّين ظلّت تمارس  
عهرها و لا تطلب إلاّ الستر."

تشكّل السياقات السياسية و الاجتماعية في التسعينات الزمن المرجع للرواية وقد  
اتّسمت أساسا ب"صعود الإسلاميين وتحولهم إلى قوّة ضاربة في الجامعة و المجتمع"  
من جهة، وبارساء بن علي لنظام الاستبداد و الليبرالية المتوحشة في تونس، من جهة  
ثانية. إذا استثنينا روايتين أو ثلاث، يجوز القول إن هذه الفترة الدّقيقة من تاريخنا لم  
تحض بعد ، كمادة سردية، بالاهتمام المأمول ربّما لأنّها قريبة من حاضرنا ولا تزال  
ممتدّة فينا بكوابيسها و مآسيها . فإذا ركّز شكري المبخوت على الجوانب السياسية  
(سقوط نظام" المجاهد الأكبر"- السابع من نوفمبر- الحملات المتتالية ضد المعارضين

<sup>1</sup> -ينظر : شعبان الحرياي ، مقال نشر بموقع "آداب تونسيّة" / "LettresTunisiennes".

إلخ.)، فليس شغفا منه بالتوثيق التاريخي بل لحرصه على تثبيت الشخوص في زمنها وشدها إليه، عساه أن يبني بينهم و بيننا تلك المسافة الصحية والنقدية الضرورية. وفي واقع الأمر، فإن رواية "الطلياني" لا تؤرخ لأحداث بعينها فقط بقدر ما ترصد ظاهرة العنف السياسي الذي استفحل بالجامعة بين رفاق عبد الناصر اليساريين و طلبة الاتجاه الإسلامي و كيف توخى النظام القمع أسلوبا مُمنهجا إزاء الحركتين، لا سيما تجاه الإسلاميين.<sup>1</sup>

في رصده للصراع الأيديولوجي الدائر بالجامعة التونسية آنذاك، توقّف شكري المبخوت طويلا عند تجليات الخطاب الطلابي الذي اتسم يمينا ويسارا بإقصائية مُفرطة وتحجّر فكري غير مسبوقين. وسعى جاهدا إلى إخراج إخراجا روائيا يقلل من نُوءاته الحادة و يخفف من وطأته على القارئ، رغم أنّ تلك الأطروحات كانت ولا تزال عسيرة الهضم، قراءة وفهما، وكأني بذلك الخطاب السجالي والمُحنّط، بشقيّه، يرفض التطبيع مع التاريخ و لا يروم حتّى أن يناله شرف المعالجة الروائية.

لكن وجب التوكيد في هذا الباب على أنّ المبخوت اعتمد في سرده للأحداث السياسية الكبرى (سقوط بورقيبة و صعود بن علي، إلخ.) مقارنة باطنية، فالوقائع الكبرى تُروى في النص وقد استبطنتها الشخوص الرئيسية لتطفو في السرد طفوا مُشبعة بما يعتمل في أعماق زينة وموسومة بمتاعب الطلياني. تتواتر أخبار الإيقافات بالجامعة في متن الرواية، بيد أنّ الرّوي لم يصوّر منها إلاّ مشهدا وحيدا واختزلها كلّها في تجربة شخصية عاشها عبد الناصر من داخل مكتب الأبحاث بمركز القرطاني. كذلك الأمر بالنسبة لأمهات الأحداث السياسية حيث يتكفل بالخوض فيها عبد الحميد أثناء لقاءاته المنفردة و مادبه الليلية مع أمين سرّه عبد الناصر. بين الحدث و الآخر، بين مركز

<sup>1</sup> - ينظر : شعبان الحريوي ، مقال نشر بموقع "آداب تونسيّة" / "LettresTunisiennes".

البوليس و مكاتب الجريدة، بين تحقيقات عبد الناصر و تعليقات مديره يُعَادُ روائيًا نسجُ خيوط الحقبة التاريخية عبر التجربة الذاتية للشخص<sup>1</sup>.

لقد تكرّرت عبارة "الدرب" وبعض مترادفاتها في عناوين الفصول . فمن " الزقاق الأخير" إلى " رأس الدرب"، تمرّ حكاية عبد الناصر مع زينة بمنعرجات " و"دروب ملتوية" و"مسالك موحشة" ومنحدرات. وكثيرا ما تصطم ب"سكك مقفلة"، شأنها شأن السياقات العامة وإن اختلفت الزوايا والمستويات. فكثرة الدروب المعطلة إنما تُحيل على متاهة فكرية وعاطفية واجتماعية باتت تمثّل، بعد افتراق الطلياني و زينة، الخيط الوحيد الذي يربط بين بطلي الرواية: لقد قطعت زينة المهاجرة كل صلة بتونس وانقطعت أخبارها وذهبت ريحها.<sup>2</sup>

أمّا الطلياني فإنّه يعاني من وحشة الأمكنة وضياع وجودي لم يعرفهما حتى في أحلك أيام النضال بالجامعة. كما نال نصيبه من الغصب الفكري إذ اضطرّ إلى الانخراط مهزوما في ركاب "المُطَبّلين" بعدما تبين، في الآخر، أنّ حياته لا تعدو أن تكون "مسارا من التلاشي و الخيبات و الخيانات الصغيرة."

رغم أنّه " قد أضع الجهات الست"، كما يقرّ بذلك صديقه الرّاوي، فالطلياني أبعد من يكون عن صورة المثقف النمطي الذي كثيرا ما تدفعه هزائمه الى التبرّم من الحياة، بل هو شديد التعلّق بملذّاتها جميعا، وبجسد الأنثى تحديدا. في رواية شكري المبخوت، يتمتّع الجسد بحضور لا يخلو من مفارقة لافتة: فإذا كان يحمل، عند جل الشخص، ذكرى انتهاك أو اغتصاب أو إهمال جنسي، وهو بالتالي مصدر وجع لا يخبو وتشوّهات نفسية لا تتمحي أبدا، فللجسد أيضا صولاته وأوقاته البهية. لم يتوانى الرّاوي في الاحتفاء بها إذ ركّز على تصوير مشاهد حميمية متواترة بين عبد الناصر وزينة،

<sup>1</sup> - ينظر : شعبان الحرياي ، مقال نشر بموقع "آداب تونسيّة" / "Lettres Tunisiennes".

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه.

وبينه وبين نجلاء تعبّر بزخمها الجنسي والعاطفي عن ضرب من ضروب المقاومة درءا للانحباس العام ودفاعا عن متعة الجنس كأخر مربع لفرحة الحياة. لذلك كلّه تكاد تكون العلاقة الجنسية الركنَ المضيء الوحيد في مسيرة كل هؤلاء المأزومين لا سيما الطلياني الذي بقي يتوقّر على رغبة هوجاء تستنفر الحواس وعلى فحولة تهزّ جسدي زينة و نجلاء هزّا. لكن هذا البعد الأيروتيقي للجسد يفقد شيئا من جذوته والمشهد كثيرا من نضارته في النصّ عندما يستعيد المبخوت، لوصف التناغم الجنسي والحسي بين الطلياني ونجلاء، صورة الفرس الجموح وراكبها الفارس القدير.

إنّ تواتر هذه الصورة النمطية القديمة في جنبات الكتاب، على شاعريتها الكبيرة، لا تعاضد مسعى الكاتب لتأسيس لغة سردية مخصصة.<sup>1</sup>

لقد طوّع شكري المبخوت حقبة التسعينات و ذوّب جانبا من مادّتها التاريخية الصلبة في ثنايا النص. فصاغها كمناخات عامة وفردية في الآن نفسه تلعب فيها الأحداث السياسية الكبرى دور المفاتيح دون أن تضاهي، روائيا، طقوس حكاية الطلياني و زينة الممتعة. كما فعّل درايته الدقيقة بمُدونة الحب العربية لتعميق تجربة عبد الناصر العاطفية و الوجودية. لكن، بقدر ما نثمّن، كقراء، الثقافة الأدبية والفكرية التي تسند رواية "الطلياني" و تثريها لغة و تصوّرا، نعول على حسّ المبخوت النقدي لنزع الأحجية البلاغية عن الجسد و عن هوامله في أعماله اللاحقة.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> -ينظر: شعبان الحرباوي، مقال نشر بموقع "آداب تونسيّة"/"Lettres Tunisiennes".

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه.

خاتمة

## خاتمة :

لطالما كانت اللغة أداةً من أدوات العنف، ووسيلة من وسائل إعادة إنتاجه، ليس العنف اللفظي فقط، بل العنف المادي أيضاً، من خلال التسويق والترويج للأفعال والممارسات العنيفة في الواقع، أو التبشير بها قبل وقوعها. ولعل عصرنا هو أكثر العصور حفاوةً بإعادة إنتاج العنف من خلال اللغة السردية، أو فعل السرد الإبداعي بشكل عام، الأمر الذي ربما من شأنه أن يضفي مسحة جمالية على وجه العنف القبيح. الكتابة عن العنف، أو إعادة سرده، في العالم المعاصر، أو في العالم العربي بالتحديد، يمكن أن تعدّ بمثابة احتفاء به على نحو ما، ربما يكون احتفاءً سلبياً، بوصفه فعلاً ضاغطاً ومهيماً، يمتلك خطاباً وقائعاً مؤثراً، مكنه من التسرب إلى السرديات بشتى أنواعها، والرواية منها على وجه الخصوص، وأخذ مساحة مهمة فيها. الرواية بوصفها أداة بحث واستكشاف وتحليل للواقع وإشكالياته، وتمثيل مجريات الحياة الملحة وأحداثها المثيرة، لا غرابة أن نجد فيها انعكاساً للواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي، إذ ربما من البديهي جداً القول إن الرواية فنّ أدبيّ ذو مضمير ثقافي، وهذا الثقافي ما هو إلا مفعول اجتماعي أو حتى سياسي أو أيديولوجي في المتن الروائي. هذا الأمر قد يحيلنا إلى مقولة موت المؤلف، التي وإن كنا لا نؤمن بها كلياً، إلا أننا نراها تعبر، بطريقة مثالية، عن كون النصوص، في بنيتها المعنوية بالتحديد، ما هي إلا منجز ثقافي اجتماعي بامتياز.

والرواية التي قمنا بدراستها في هذه الدراسة ما هي إلا نتيجة للفعل الثقافي والأنساق المعبرة عنه، الموجدة له والشارحة لألفاظ هذه الرواية داخل الضمير المجتمعي أو عند المتلقي، وهو ما رأيناه في تفاصيل وقائع رواية جاءت لتعبر عن الحراك المجتمعي التي عاشته تونس وتتقاسمه العديد من الدول .

فبعد التقصي والبحث يمكننا أن نجمل أبرز ما توصلنا إليه في ما يلي :

- إن البحث متعلق بعنف اللسان الذي يعتبر ظاهرة اجتماعية منتشرة في المجتمع والذي وجدناه بكثرة في رواية الطلياني لشكري المبخوت .

- إن النص الروائي في العموم لا ينطلق من العدم، وإنما يستند إلى أساس سابق يحقق به الانطلاق . فالروائي يستحوذ على هذا الأساس ويحاوره وفيها ينتقل من التفاعل على مستوى المادة السابقة إلى التفاعل من خلال الأسلوب الذي يقوم على أساس التحويل والنقد .

- أراد شكري المبخوت من روايته أن تكون محاكاة للواقع المعيش في تونس في فترة نهاية الحكم البورقوبي وبداية حكم زين العابدين .

- ركزت الرواية على عبد الناصر الملقب بالطلياني اليساري الاتجاه الذي كان يحاول جاهدا ترسيخ مبادئه اليسارية .

- اتساع دائرة المنتهكين وأكثرهم المثقفين والسياسيين .

- استفحال ظاهرة العنف السياسي بين اليسار واليمين، واتخاذ أسلوب القمع وسيلة لفرض آراء كل منهما .

- نقشي ظاهرة حكم المجتمع على المظاهر وعلى التصرفات من دون البحث عن الأسباب والدوافع .

- تجلي العنف الأسري الذي يقلل من قيمة الفرد مما يعكس ذلك على شخصيته في المستقبل سواء كان في مجاله العلمي أو العملي .

- غياب ثقافة الحوار بين الفئات حاملة الشهادات وذات المناصب العليا فكل يتصارع على السلطة وعن اللقب .

- تجلي ظاهرة العنف الجنسي في تلك الحقبة، بإقامة علاقات جنسية خارج نطاق الزواج فكل يبحث عن الطريقة التي يرضي بها شهوته المتوحشة .

- وفي الأخير تبقى هذه النتائج قراءات خاصة ، عسى أن نكون بهذا قد ألممنا لا أقول بكل بل بمجموعة من جوانب الدراسة ، ولم يبق لي إلا أن أختتم بقول العماد الأصفهاني "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يوم إلا قال في غده :لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ،ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا دليل على استيلاء النقص على جملة البشر " .

إن هذا البحث الذي نعترف بوجود نقائص علمية فيه لأن من صفة الاجتهاد العلمي أنه غير كامل، خاصة وأنه يفسر ظاهرة الإبداع الإنساني المتمثلة في الأدب، إلا أنه في اعتقادنا قد مارسنا نوعا من البناء العلمي في توجيه البحوث النقدية الأدبية نحو متغيرات لا نرى الكثير من الدارسين يتوجهون إليها المتمثلة في دراسة الظواهر الإنسانية في منظور النسق الثقافي ، وإن كانت دراستنا قد ركزت على ظاهرة العنف ، إلا أن هناك العديد من الظواهر التي تحتاج إلى دراسة ضمن المنظور النسقي الثقافي، وهذا ما نأمل أن يتحقق في المستقبل القريب ، فنظرية الأنساق الثقافية بقدر ما هي إنتاج علمي تأملي فكري يوجه الباحث ، هي كذلك تحتاج للكثير من الدراسات العملية حتى تتضح مفاهيمها وتتجسد مبادئها خاصة في السياق العربي .

وإذ تجدنا نخط الكلمات الأخيرة لهذه الدراسة فلا يسعنا إلا تجديد شكرنا لكل من ساهم في إخراجها للنور بهذه الحلة، خاصة الأستاذ المشرف : قفي مراد الذي أعطانا بتوجيهاته القدر الكافي لكي نخوض في غمار هذا البحث، فاستقدنا حقا من تجربة الإشراف فكانت أحق شرف نلناه في هذه الدراسة ، وإن كنا وفقنا في هذا العمل فما لتوفيق إلا من عند الله ، وأي خطأ فهو من أنفسنا . والحمد لله على مكارم نعمه.

مُلخَص

## \* الملخص :

كشفت هذا البحث الموسوم بـ "عنف اللسان في رواية الطلياني لشكري المبخوت دراسة في ضوء نظرية الأنساق الثقافية " دراسة نظرية حول عنف اللسان وما يحمله من خصائص وكذلك للأنساق الثقافية التي وجدناها حاضرة في رواية الطلياني لشكري المبخوت .

تشعب البحث وتعددت فصوله ، فانتقل مع الروائي شكري المبخوت في مجالات مختلفة متتبعا قضيته المطروحة معتمدا على وسائل عدة منها :التحليل ،التصنيف ...

وبناء على هذا فقد عالج البحث ظاهرة العنف اللساني من خلال دراسة رواية الطلياني التي تحاكي عنف اللسان من بدايتها حتى نهايتها، وذلك في إطار الأنساق الثقافية هذه الأنساق التي وجدناها تختلف من نسق إلى آخر فمنها السياسي والاجتماعي والأسري والثقافي والجنسي .

## Résumé

Cette recherche intitulée par la violence verbale dans le roman de l'italien de chokri a montré une étude sur le rôle à la lumière de la théorie des implicites culturels, l'étude sur la violence verbale et ses composantes et aussi les implicites culturels qu'était présente dans le roman de l'italien de **chokri elmabkoute** .

La complexité de la recherche et la multiplicité des chapitres , et c'est déplacé avec ce romancier dans plusieurs domaines en suivant sa problématique, en se basant sur divers moyens entre autre l'analyse et la classification .

Sur ce là , la recherche traitée le problème de la violence verbale a travers l'étude du roman de l'italien qui raconte l'histoire de la violence verbale de début jusqu'à la fin, dans le cadre des implicites culturels qui sont différentes d'un contexte à un autre entre – autre politiques sociales , familiales, culturels et sociaux.

قائمة

المصادر

والمراجع

## \* قائمة المصادر والمراجع :

القران الكريم .

- 1- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الحيوان ،ت: عبد السلام محمد هارون ج30 دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،1992 .
- 2- إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ،ط2 ،ج2.1 المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع (د،ت) .
- 3- أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات ، ديوان المطبوعات المعاصرة ، المجلس للثقافة والفنون والآداب ، ط2 ، الكويت 1979.
- 4- جبور عبد النور ،المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ،ط1 ،بيروت 1979
- 5- جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،دار الكتاب الجغرافي ،الجزء 2 ،(د،ط) (د،ت) .
- 6- حافيظ إسماعيل علوي وآخرون ،وآخرون ، اللسان العربي وإشكالية التلقي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،بيروت ،2007. .
- 7- حسن سعفان ، علم الإنسان ، مكتبة العرفان ،ط1، بيروت ، 1968،
- 8- حفناوي بعلي :مسارات النقد ومدارا ما بعد الحادثة ،ترويض النص وتقويض الخطاب أمانة عمان الكبرى ،ط1،الأردن 2007 .
- 9- حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية 1771-1985م مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة1، يناير 1992م .
- 10- خولة طالب إبراهيم ،مبادئ في اللسانيات ،ط2، دار القصة للنشر والتوزيع الجزائر 2000 /2006.

- 11- شكري المبخوت ، الطلياني ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت تونس القاهرة ط 7 ، 2015.
- 12- عاطف وصفي : الانثروبولوجيا الثقافية ،دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية ،دار النهضة العربية ، بيروت 1971.
- 13- عبد الحميد لطفي ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ،ط1، دار المعارف ، القاهرة 1978
- 14- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون :مقدمة ابن خلدون ،تح :علي عبد الواحد وافي ج1،ط1،دار النهضة ،مصر ،(د،ت).
- 15- عبد القادر الرباعي :تحولات النقد الثقافي ،دار جرير ،ط1، عمان 2007.
- 16- عبد الله الغدامي : النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية - المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء 2000.
- 17- علي أسعد وطفة :العدوانية في سيكولوجيا فرويد ،مركز الوافدين للدراسات والبحوث الإستراتيجية(د.ط) ، 2012 جامعة الكويت .
- 18- علي ايت أوشان : السياق والنص الشعري من البنية الى القراءة ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1، الجزائر ، 2000 .
- 19- كريم زكي الحسام الدين ، اللغة والثقافة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، 2001
- 20- مراد موهوب :لغة العنف وعنف اللغة مقارنة لسانية نفسية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة السلطان مولاي ،المملكة المغربية .
- 21- محسن جاسم الموسوي : النظرية والنقد الثقافي ،الكتابة العربية في عالم المتغير واقعها سياقاتها وبنائها الشعورية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت 2005.

- 22- مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور  
المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط9، 2005.
- 23- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، طبعة مدققة كاملة التشكيل  
مكتبة لبنان، 1989.
- 24- ابن منظور، لسان العرب: مادة عنف. عبد الله علي الكبير و آخرون ، ج4 (د،ط)  
(د،ت) .

25- le petit la rous eillustre.maisond'edition .la rouse ,2002

### المجلات :

- 26- أحمد أبو زيد ، حضارة اللغة ، مجلة عالم الفكر ، م3، عدد1، القاهرة، 1971.
- 27- قبي ادم ، رؤية نظرية حول العنف السياسي في الجزائر ، مجلة الباحث جامعة  
ورقلة ، عدد01، 2002.

### المواقع الالكترونية :

- 28- شعبان الحرياوي ، مقال نشر بموقع "آداب تونسيّة" / "LettresTunisiennes"  
على الرابط: <http://www.lettrestunisiennes.com/index.php/notes-de-lecture/34-articles-de-lecture>

- 29- زكريا يحي لال : العنف في عالم متغير ،كلية التربية ، ج1 ،موقع الكتروني  
لجامعة أم القرى بمكة المكرمة. <http://uqu.edu.sa/page/ar/132277>

# فهرس الموضوعات

## الفهرس :

شكر وعران

إهداء

المقدمة ..... أ

## الفصل الأول

### عنف اللسان في النقد الثقافي المعاصر

تمهيد..... 03

#### أولا :عنف اللسان

1-العنف ..... 05

2-عنف اللسان في اللغة والتاريخ ..... 11

3-عنف اللسان وتراجع الخطابات المعاصرة ..... 16

4-حقيقة الوضع اللساني ..... 18

5-المعرفة بحقيقة اللسان العربي..... 19

#### ثانيا :مظاهر العنف اللغوية

1-المداخل الدلالية :سمات المدلول ..... 21

2-اللغة تسنين مزدوج ..... 22

3-في صوتيات العنف :سمات الدال..... 24

## ثالثا: الأنساق الثقافية في النقد المعاصر

- 1- مفهوم النسق ..... 28
- 2- مفهوم الثقافة ..... 31
- 3- مفهوم النسق الثقافي ..... 35
- 4- النسق والنقد الثقافي ..... 37
- 5- علاقة اللغة بالثقافة ..... 42

## الفصل الثاني

### الظواهر اللغوية لعنف اللسان وأثرها في بنية النسق الثقافي

- تمهيد ..... 48
- ملخص الرواية ..... 49
- أولا: العنف السياسي ..... 53
- ثانيا: العنف الاجتماعي ..... 59
- ثالثا: العنف الأسري ..... 61
- رابعا: العنف الثقافي ..... 64
- خامسا: العنف الجنسي ..... 66
- سادسا: رؤية نقدية في الرواية ..... 71
- خاتمة ..... 77
- ملخص البحث ..... 81
- Résumé ..... 82
- قائمة المصادر والمراجع ..... 84
- فهرس الموضوعات ..... 88

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ